ISSN:2170-0060
EISSN: 2602-523X
المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية
المجلد 10 العدد 02 – ديسمبر 2019
الإلقاء والتلقين بالمغرب الأقصى ما بين القرنين 16 و 18م: المنهج والعادات ص ص 83-134

الإلقاء والتلقين بالمغرب الأقصى ما بين القرنين 16 و 18م: المنهج والعادات

Diction and indoctrination in the Morocco between the 16th and 18th centuries: curriculum and customs.

د/ الحسين ريوش
جامعة وجدة ـ المملكة المغربية
bellahssane@gmail.com

تاريخ الإرسال:22/ 08/ 2019؛ تاريخ القبول: 11/ 12/ 2019

Abstract

Between the 16th and 18th centuries, the Moroccan curriculum was mainly based on memory, preservation and memorization of archives without reaching the stage of understanding and good knowledge of what is preserved. The metaphysical thought remained present in the diction and indoctrination through customs and rituals that were not eliminated by a wide segment of Moroccan society, including some teachers. Moreover, educational institutions have been few or almost non-existent, or far from places of stability, especially in remote and isolated areas, without losing sight of the difficulty of the costs of schooling and physical and psychological punishment, which deprived many children of learning or lead them to drop out (school waste). The state of education has been linked to the political situation of the Moroccan state. All this has led to a high rate of illiteracy and a low level of awareness and thus contributed to the waste of human capacity capable of raising the level of development at this stage in the history of

Morocco and stand in the face of colonial pressures during the 19th century, which ended with the occupation of the country at the beginning of the 20th century.

Despite its disadvantages, the educational system at this stage has been able to graduate a huge number of teachers in many scientific disciplines, and uncovered the many defects used by educational researchers to reform curricula and educational programs in the later period of the history of Morocco.

Keywords:

Dumping ; teacher; learner; physical punishment; motivation.

الملخص:

ظل المنهج الدراسي المغربي في ما بين القرنين 16 و18م يعتمد أساسا على الذاكرة والحفظ واستظهار المحفوظات دون البلوغ إلى مرحلة الفهم والتعرف الجيد على ما يحفظ. وظل الفكر الغيبي حاضرا في الإلقاء والتلقين من خلال العادات والطقوس التي لم تتخلص منها فئة عريضة من المجتمع المغربي بما في ذلك بعض المدرسين. وعلاوة على هذا، كانت المؤسسات التعليمية قليلة أو شبه منعدمة، أو بعيدة عن أماكن الاستقرار وخاصة في البوادي المنعزلة، دون إغفال صعوبة تكاليف الدراسة والعقاب البدني والنفسي التي كانت تحرم الكثير من الأطفال من التعلم أو تدفعهم إلى الانقطاع، كما أن وضعية التعليم ظلت مرتبطة بالأوضاع السياسية والظرفية الطبيعية للدولة المغربية. وقد أدى كل هذا إلى ارتفاع نسبة الأمية وانخفاض درجة الوعي وساهم بالتالي في هدر الطاقات البشرية القادرة على رفع مستوى التنمية في هذه المرحلة من تاريخ المغرب والوقوف في وجه

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

الضغوطات الاستعمارية خلال القرن 19م والتي انتهت باحتلال البلاد مع مطلع القرن 20م.

ورغم سلبياته، فإن النظام التعليمي في هذه المرحلة تمكن من تخريج عدد هائل من المدرسين في تخصصات علمية عديدة، وأماط اللثام عن عيوب كثيرة استغلها الباحثون التربويون لإصلاح المناهج والبرامج التعليمية في الفترة اللاحقة من تاريخ المغرب.

الكلمات المفاتيح:

الإلقاء؛ المدرسة؛ المتعلم ؛ العقاب البدني ؛التحفيز.

تمهيد:

ليس المقصود بطرق الإلقاء والتلقين، أو بعبارة أخرى طرق التدريس، هو البحث عن الفكر التربوي بمفهومه البيداغوجي الحالي، لأن هذا المصطلح لم يكن واردا قبل العصر الحديث، بل المراد هو ذلك المصطلح الذي يشمل أصنافا من التربية تتعلق بالصبيان، والتلاميذ، والطلبة، والتربية الصوفية، والتكوين المذهبي الموجه، والذي يشكل فيه الفقهاء والدعاة وشيوخ التصوف أهم منظري الميدان التربوي عن طريق الرسائل والمؤلفات والفتاوى والتوجيهات إلى الطلاب.

وقد شكل المتعلم والمعلم محور النظريات التربوية بحيث اهتم كثير من الفقهاء، لاسيما الذين مارسوا التدريس أو التأديب في الكتاتيب، بتناول مسائل التربية ومناهج التعليم وسعوا إلى تطويرها وتحسينها لتلائم تصورات وطموحات وفلسفة المجتمع المغربي الاقتصادية والاجتماعية.

إن طرائق الإلقاء والتلقين تعرف بالمنهج الذي يسلكه المعلم في توصيل ما جاء في البرنامج أو المنهاج الدراسي، وتقوم بدور أساسي في تناول المادة العلمية وفي تنظيم الحصة الدراسية، ولذلك تعتبر أداة ضرورية وفعالة لتحقيق

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

الأهداف التربوية العامة والخاصة. وقد تنوعت واختلفت هذه الطرائق بالمغرب الأقصى في ما بين القرنين 16 و 18م حسب مستويات المدرسين وحسب توجهات الملوك والسلاطين المغاربة.فما هي أهم طرائق وعادات التدريس بالمغرب في ما بين القرنين 16 و 18م؟.وما دور الدولة والمجتمع والآباء في التعليم والتربية خلال هذه المرحلة؟. وما هي أهم النتائج المترتبة عن ذلك؟.

1-أهم طرائق وأساليب التدريس:

تعد المدرسة المغربية، من حيث منهجها، سبيلا وسطا بين أسلوبي العراق والقيروان. ومن رواد هذه المدرسة: عياض بن موسى السبتي دفين مراكش (ت. 544هـ/ 1149م) وإمام العدوتين وقاضيهما[1].وظل هذا المنهج يعتمد أساسا على الذاكرة والحفظ واستظهار المحفوظات دون البلوغ إلى مرحلة الفهم والتعرف الجيد على ما يحفظ. فقد:"بقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيهم، فعسر عليهم حصول الملكة والحذق في العلوم... فتجد طالب العلم منهم، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية، سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة. فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعلم"[2].

وتبتدئ عملية الحفظ من الكتاب حيث يستهل المتعلم مشواره الدراسي، قبل ولوج القرويين، بحفظ القرآن، ثم يحفظ أمهات الكتب والمختصرات في المراحل المتوسطية والعالية من التعليم. وعملية الحفظ والاستظهار، تمتد إلى ما قبل الفترة المدروسة،وتحمل عدة مساوئ ساهمت في نقص المردودية وفي تأخر التعليم [3] . وبقي الأمر كما كذلك إلى العهد

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

السعدي حيث يمكن التمييز بين أربعة طرق تدريسية [4] تختلف باختلاف عقول المدرسين وأساليبهم في الفهم والتفهيم، وهي:

- طريقة حل المتن التي يقوم فيها المدرس بشرح النص المدروس دون الرجوع إلى كلام الشرّاح.

- طريقة حكّ المسائل [5] وهي الأكثر استعمالا،وتهتم بالبحث في المسائل وتقليب وجوه النظر فيها وافتراض الإشكالات ومناقشة المنقول.

- طريقة المحاضرة [6] وكان يتبعها نخبة من المفسرين والمحدثين والفقهاء، وكانوا يركزون على تنسيق العرض وحسن الأداء مع مناقشة آراء السابقين والترجيح عند الاقتضاء.

- طريقة المناظرة [7] التي اعتبرت أحسن الطرق التعليمية أيام السعديين، لكنها كانت محدودة بين قلة من العلماء، وتقوم على أساس مشاركة الطلبة والأساتذة في القراءة والمناقشة.

ويرى اليوسي أن طريقة التدريس المثلى هي التدرج [8] مع "تصحيح المتن وحل المشكل والزيادة على هذا ضرر أكثر من نفعها [...]" [9]

أما الحجوجي [10] في الفترة اللاحقة فقد استنتج الطرق التالية :

- الأولى هي طريقة الرواية، وهي الأكثر انتشارا، وتخص علوم الحديث والفقه أساسا، ويحاول خلاله الملقي أن يسند كل ما يرويه إلى من تلقاه عنهم إلى أن يصل إلى واضع العلم.

- الثانية هي طريقة الدراية ويحاول خلالها الأستاذ تقريب النص من الأذهان مثلما كان يفعل محمد التهامي الوزاني الذي يذكر عنه الحجوجي قائلا:"قراءتي عليه للبخاري كانت دراية أكثر منها رواية، إذ كان يسرد غيري بين يديه الصحيح أولا، ثم يملي علينا من حفظه من التقريرات العالية من فنون عربية ودينية. إذ كان مشاركا فيها مشاركة تامة، ويحسنها إلى النهاية،

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

ويملي ما للحافظ بن حجر وغيره، ويوشي ذلك بأفكاره الواسعة، ونقده المؤيد بالبرهان الآخذ بلب ذوي النجابة والتفنن..." [11]

– الثالثة هي طريقة الجمع بين الرواية والدراية ومن أهم روادها أبو العباس أحمد بن الطالب بن السّودة المري الذي "كانت دروسه رواية ودراية معا..." [12].

وقد حافظت طريقة الإملاء المرفقة بحوار في بعض الفقرات على وجودها منذ العصر الوسيط [13] ، ويكون الإملاء بطيئا حتى يتمكن الطالب من كتابة كل ما يمليه الشيخ [14] ، وما يزال الكثير من المدرسين يعتمدون هذه الطريقة في التدريس في جميع الأسلاك التعليمية رغم التحسن الملموس في الطرائق البيداغوجية والمناهج التعليمية.

وإذا كان المستوى العلمي للشيخ المدرس محترما، كان بإمكانه، عند الانتهاء من إملاء كل فقرة، أن يشرحها ويدون الطالب كذلك هذه الشروح على هامش الأوراق التي كتبت عليها الأصول. وإذا ما انتهى من إملاء الموضوع الذي هو بصدد درسه، فإنه يعيد قراءته له [15] – وهو ما يسمى حاليا بالتقويم المرحلي– أو يكلف أحد الطلبة بإعادة القراءة [16] حتى يصحح الأخطاء، ويقع بعد ذلك نقاش في الموضوع، وهذه الطريقة هي المعروفة بالإلقاء،أي أن عملية بناء الدرس عند المدرسين الأكفاء كانت تتطلب تقويما تشخيصيا وتقويما مرحليا وتقويما إجماليا كما تنص على ذلك الطرق الحديثة في التعليم.

ولم تكن طريقة التدريس تخضع لقانون معين، فشخصية الشيخ وأسلوبه ومقدار حفظه وتمكنه هي التي كانت تحدد الطريقة ودرجة الاستيعاب لدى المتلقين. وتمدنا بعض المصادر والمراجع بأمثلة تشير إلى المستويات المتفاوتة التي كانت عليها حلقات التدريس [17] ولذلك، كان بعض المدرسين يسلك في

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

تدريسه طريقة التبسيط حتى يتمكن العوام من الفهم والاستفادة مثل المدرس أبو فارس عبد العزيز الفلالي (ت. 1096هـ/ 1685م) الذي كانت له "طريقة في التدريس وتدريج المبتدئين سهلة حسنة. فانتفع به الناس كثيرا" [18] ، عكس محمد القصار "الذي كانت مجالسه تقوم على دروس كثيرة ... لم يتأد معها المقصود لكثير ممن قصر فهمه فتحامى لذلك الاستفادة منه كثير منهم" [19].

وقد ركز منظرو الميدان التربوي من فقهاء ودعاة وشيوخ التصوف على أهمية التبسيط في عملية التدريس، ومن ذلك ما ذكره الأبي عن ابن عرفة الذي قال:"إنما تدخل التآليف في ذلك إذا اشتملت على فائدة زائدة، وإلا فذلك تخسير للكاغد، ويعني بالفائدة الزائدة، على ما في الكتب السابقة، وإما إذا لم يشمل التأليف إلا على نقل ما في الكتب المتقدمة، فهو الذي قال فيه إنه مخسر للكاغد. [...] وإنه إذا لم يكن في مجلس الدرس التقاط زائد من الشيخ، فلا فائدة في حضور مجلسه، بل الأولى لمن حصلت له معرفة بالاصطلاح، والقدرة على فهم ما في الكتب أن ينقطع بنفسه، ويلازم النظر،[...] ونظم في ذلك أبياتا هي:

إذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة *** بتقرير إيضاح لمشكل صورة
وعزو غريب النقل أو حل مقفل *** أو إشكال أدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك *** ولا تتركن فالترك أقبح خلة [...]

فلقد كنت أقيد من زوائد إلقائه نحو الورقتين كل يوم مما ليس في كتاب"[20].

وكان أبو محمد عبد الواحد الحميدي (ت.1003هـ/ 1594-95م) من بين الأساتذة المشهود لهم بالتبسيط في تدريسه إذ كان كرسيه يقصده خواص الطلبة والفقهاء حيث اعتادوا سماع الدروس المطرزة بالنكت والغرائب والبحوث[21] ، تماما كما كان أحمد بن علي الوجاري

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

(ت.1141هـ/ 1728م) "يقتصر في تدريسه على مهمات المسائل وتحرير المشكلات، ويستحضر اللطائف والنوادر والغرائب وينقلها في مجلس درسه مع أنظام وأشعار لائقة بالمقام ترويحا لأهل المجلس"[22].

وفي كل الأحوال، فإن الشيوخ والطلبة لم يدخروا جهدا في خدمة التعليم في الحواضر والبوادي المغربية في هذه المرحلة. فالبعض من الأساتذة كابد في إعطاء دروسه حتى في حالة مرضه حيث كان الطلبة يلحقون بهم للأخذ عنهم داخل منازلهم وهم على فراش المرض مثل الحسن بن رحال المعداني (ت.1140هـ/ 1728م)[23] ، والبعض منهم التزم التدريس داخل منزله مثل محمد بن أحمد بن الشاذلي الدلائي الذي ألح عليه الناس في إقراء علم العروض، فقبل مصرا على أن يقرئه في أسطوان داره حياء من التصدر، وكانت النتيجة أن تخرج عليه أكثر من واحد من المحققين[24] ، ومحمد بن محمد بن عبد الرحمان الدلائي (ت. 1088هـ/ 1677م) الذي "أحمل نفسه من التعرض للظهور ... وأكب على الإقراء والتدريس، وانتفع به خلق كثير وجم غفير"[25] . والبعض الآخر كان يلقي دروسه في باب داره مثل محمد بن أحمد الدلائي (ت. 1137هـ/ 1724-25م)[26] أو على سطوح المدارس مثل أحمد بن علي الوجاري (ت.1141هـ/ 1728-29م)[27] ، بل كان أحد العلماء المدرسين يلقي دروسه حتى في بطون الأودية وشعاب الجبال[28] .

إن طريقة إلقاء الدروس كانت تختلف من أستاذ لآخر ومن مادة لأخرى حتى بالنسبة للأستاذ الواحد، كما أن إقبال الطلبة على أستاذ دون آخر كان يرتبط بنوع الدروس التي يلقيها ثم بحسب طريقته في الإلقاء وكفاءته وقدرته على إقناع طلبته، وأيضا بحسب الحوافز والعطايا التي كانت تخصصها الدولة لبعض المجالس على حساب أخرى[29] .

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

ورغم هذا الاختلاف وأهمية بعض الطرائق التدريسية، فقد ظل الإلقاء والحفظ أساس العملية التعليمية التعلمية عند أغلب المدرسين عملا بهذين البيتين الشعريين:

ليس بعلم ما حوى القمطر *** ما العلم إلا ما وعاه الصدر

إذا لم تكن حافظا واعيـــا *** فجمعك للكتب لا ينفـــــع[30] ،

ولذلك ذهب البعض من الآباء إلى اعتماد طرق يعتقد أنها تشرح الصدور وتفتح الأذهان وتساعد على الحفظ[31] .

هذا الاختلاف في الطرائق وفي كفاءة المدرسين وقدرات المتعلمين جعل اليوسي(ت. 1102هـ/ 1691م) ينادي بالجمع بين التدريس مشافهة والتدريس عن طريق التأليف لأن ألسنة العلماء تختلف :"فقد يكون منهم من لسانه في الكتب مثله في الدرس ومنهم من يكون لسانه في الكتب أفهم وقد يكون من هو بالعكس"[32] ، ولا شك أن التدريس بالتأليف كان يهم طلبة المجالس العلمية في الجوامع أي ما يشبه التعليم العالي حاليا.

وهكذا، فبعدما كانت كفاءة المدرس تقاس بكيفية الإملاء والتقرير والتحرير والتنقير، ومن "كانت فيه الأهلية المذكورة جاز انتصابه للتدريس والتعليم والفتيا"[33]. أصبح الاقتصار على تقليد العلماء السابقين دون مناقشة ونقد أمرا متجاوزا لا قيمة له، وهو حسب اليوسي من أسباب انتشار الجهل والفساد في المجتمع، كما يخبرنا في هذا النص :"لم يكن أحد من علماء العقل وعقلاء العلماء يقيم للمُقلّد التابع كل ناعق وزنا أو يثبت له فضلا أو يعده عالما أو فقيها، وإنما كان يعد في نحو ... أصحاب الخرافات وأهل النوادر والحكايات حتى فشا الفساد وكان العناد والجهل ... "[34] .

لقد كان الإلقاء والاستظهار الطريقة المثلى في البوادي أكثر من المدن، ولذلك ظل مستوى التعليم ضعيفا في هذه المجالات مما انعكس سلبا على

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

مستوى المتعلمين وساهم في استفحال الجهل والأمية إلى حدود أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20م[35] ، لاسيما وأن الكثير من الآباء كانوا يضطرون لإخراج أبنائهم من المكاتب أو حلقات التعليم ليستخدموهم في ممتلكاتهم[36]، أو لا يدخلونهم إلى التعلم.

إن اختلاف طرائق التدريس يدل على اختلاف الأهداف التعليمية: فطريقة المحاضرة تدل على الهدف الإدراكي وطريقة المناقشة والطريقة الحوارية تدل على هدف ذو طبيعة شعورية، كما يدل هذا الاختلاف على تنوع طبيعة المواد الدراسية، فالطريقة التي تلائم مادة قد لا تلائم مادة أخرى.

2-تنظيم الموسم الدراسي:

كان الموسم الدراسي يبتدئ في فصل الشتاء ويتوقف في فصلي الربيع والصيف. فقد أخبرنا ابن عابد الفاسي في رحلته قائلا :"... وهذا الفصل الذي تنصب فيه الكراسي لنشر العلم هو فصل الشتاء، وهو من طلوع الإكليل مع الفجر إلى خروج سعد بُلع في طالع الفجر وبعدها ما يبقى إلا تفسير القرآن دائم يقرأ بعد صلاة الصبح [...] فلما انقضت المواعيد لدرس العلم ودخل وقت الربيع وهو الاعتدال، وتعطّلت المواعيد التي كنا نجلس فيها مع المشايخ ..."[37] ، وبدوره يخبرنا القادري أن الدراسة كانت "على العادة في المغرب الأقصى في فصل الشتاء وأول فصل الربيع"[38] .

ولم تكن الدراسة خاضعة لحساب الساعات الزمنية، وإنما لأوقات الصلاة إذ كانت تنطلق بعد صلاة الصبح وتنتهي بصلاة العشاء بدليل أن الحاج عبد الوهاب بن الحاج بُزُوبَع وقّف كتابه "تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين"[39] على من يقرأ فيه على الكرسي المعد بمسجد سيدي البياض كل يوم بعد صلاة الصبح،كما تشير وثيقة أخرى إلى تحبيس الشريف سيدي علال الحسني الشهير بالدباغ لكتابه "مصابيح السنة"[40] على المسجد الكبير المحدث

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

بسوق الرصيف لينتفع به قبل الشروق كل يوم، أما سيدي عبد السلام السراج فقد وقف كتابه "تحفة الأخيار"[41] على من يقرأ فيه بين العشاء والمغرب بمسجد سيدي محمد عباد، وورد أن محمدا بن الفقيه الزجني (ت. 1136هـ/ 1724م) كان يتعلم عند شيخه عبد الله الوزاني، فكان "يصلي صلاة الفجر ويلازمه يومه ذلك ويبذل نفسه في خدمته إلى أن يصلي معه صلاة العشاء الأخيرة ويروح إلى منزله ..."[42].

وفي بعض البوادي ظل الزمن المدرسي يرتبط بالأعياد الدينية [43]وبالظروف المناخية والاقتصادية للمنطقة، وخاصة موسم جني المحصولات (موسمي الزيتون والحصاد مثلا)، كما تحكمت الأشغال اليومية في التوزيع اليومي للحصص. ففي جبال الأطلس مثلا لاحظ ديكودي طوريس أنه وبسبب اشتغال الأطفال بالرعي نهارا كانت الحصة الدراسية تعطى في المساء في منزل المعلم ـ غالبا ما يكون إمام مسجد القرية أو أحد الطلبة الحافظين للقرآن الكريم – حيث يستظهر المتعلمون ما حفظوه طيلة النهار رفقة قطعانهم، مما يعني أن المدرس كان يكتفي بكتابة الدرس، الذي هو عبارة عن آيات قرآنية، للمتعلمين المبتدئين في ألواحهم أو إملائه بالنسبة للآخرين، وينتظرهم في الليلة المقبلة للاستظهار وإلقاء دروس جديدة وهم متحلقون "على ضوء نار عظيمة يوقدونها بالحطب الذي حملوه معهم"[44].

يستنتج من هذا أن تنظيم الموسم الدراسي لم يكن متجانسا بين البوادي والمدن، سواء من حيث توزيع التوقيت اليومي أو السنوي أو من حيث الحصص والبرامج أو من حيث العطل، بل تحكمت فيه العادات والتقاليد المحلية، والظروف الطبيعية والاقتصادية لبعض المناطق، باستثناء المدن التاريخية كفاس ومراكش ومكناس... التي كان فيها النظام التعليمي أحسن مقارنة بالبوادي. ولذلك يمكن القول أن الموسم الدراسي خضع لنظام اللامركزية

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

الذي تحاول الدولة فرضه حاليا وخاصة فيما يتعلق بحاجياتها من الموارد البشرية أو فيما يتعلق بالعطل المدرسية التي تحاول تكييفها مع الظروف المحلية والخاصة بكل أكاديمية جهوية.

وكان المجدون من الطلبة لا يذهبون لتناول الطعام إلا بعد انتهاء مجالس العلم وأداء صلاة العشاء[45] ،وعبر عن هذا أحد الطلبة قائلا :"وكنا هنالك [يعني سجلماسة]، حتى أن أكثر الأيام لا نذوق طعاما إلا من الاسفرار* لانشغالنا بطلب العلم، وتقلبنا في المجالس طول النهار"[46] ، وقال القفصي: "حكى شيخنا الإمام عن بعض فقهاء تلمسان أنه قال: كان الطالب لا يأكل حتى يرى الحائط يرقص، ولا ينام إلا غلبة. وقد قيدت عن بعض المغاربة:

بقدر الكد تكسب المعالي*** فمن طلب العلا سهر الليـــالي

تروم المجد ثم تنام ليـــلا*** يغوص البحر من طلب اللآلئ[47].

ويفهم من هذين البيتين أنه بعد العشاء يتفرغ الطلبة للمراجعة والتحضير[48] ، وهو ما توارثه طلبة العلم إلى وقتنا الحاضر.

وعلاوة على هذا كان هناك حرص على تدبير الموارد البشرية لتأمين الزمن المدرسي وعدم هدر حصص التعلم وذلك من خلال تعويض المتغيبين من المدرسين بفعل المرض أو بسبب شغل طارئ[49].

3-الوضع داخل قاعات التعلم:

كان الدرس والصلاة يحصلان في المكان نفسه، ألا وهو المسجد، وكان الطلبة في الجامع أو مسجد المدرسة "يتحلّقون" حول شيوخهم، ولذلك سمي الدرس حلقة[50] .

وغالبا ما كان ظهر الشيخ مستندا إلى حائط أو عمود من أعمدة المسجد[51] . وقد بلغنا نص للونشريسي حول كيفية جلوس الأستاذ، يقول فيه

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

:"قد كان من هدي العلماء في قعودهم أن يجتمع أحدهم، ويضع مرفقيه على ركبتيه، ومنهم من كان يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه، وكذلك كانت شمائل كل من تكلم في هذا العلم قبل أن تظهر الكراسي"[52] .

وانطلاقا من القرن الخامس عشر ميلادي، أصبح الجلوس يقع على الكراسي[53] ، غير أننا لا نستطيع أن نجزم بانتشار هذه الكراسي في جميع المؤسسات التعليمية ولجميع المدرسين، لأن الكراسي كانت مخصصة للمجالس العلمية التي يناهز عدد الحضور فيها المائتين والثلاث مائة من الطلبة، كما أن ولاية الكرسي كانت أمرا بالغ الأهمية، لأنه كان بمثابة ولاية حكومة لا تقل عن منصب القضاء والفتيا والوزارة، لذلك كان الحصول عليه يستدعي عدة مؤهلات[54]. وكان كل كرسي خاص بمادة وأستاذ معينين، وهو ما مكن المدرسين الأكفاء من شغل عدة كراسي مثل علي بن أحمد الزموري (ت. 1001هـ/ 1593م) الذي كان بيده كرسي يقرئ عليه التفسير بجامع الأندلس وكرسي السير بالقرويين وكرسي المرادي بمدرسة العطارين[55] ، وكانت هناك أوقات معينة للتدريس على الكرسي: فمن المدرسين من يعطي دروسه بعد صلاة العصر، ومنهم من يلقي درسه بين العشاءين ومنهم من خصص لذلك يومي الخميس والجمعة فقط[56] .

ويحرص كل طالب على أن يجلس على ركبتيه بمقربة من الشيخ[57] ، لكن لا يتم جلوسهم في حلقة دون ترتيب، فسن الطالب وأقدميته في جلوسه للشيخ، ومستواه العلمي عناصر أساسية في تعيين مكان جلوسه، أما الطلبة المبتدئون، فيكون جلوسهم في آخر الصفوف احتراما للطلبة المتقدمين في السن[58] .

ويبدو أنه كان للمتعلم حرية شبه مطلقة إذ يستطيع الطالب القدوم في أي وقت ولا يجبر على الانتساب إلى حلقة دون أخرى، كما أنه ليس مجبرا

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

على التقيد بأحد الشيوخ، فهو يستطيع أن ينتقلمن شيخ إلى آخر[59] رغم ما كان ينتج عن هذه العملية من منافسة وحسد بين العلماء وصلت إلى حد وضع دسائس ومكائد للمدرسين الذين كانت مجالسهم تعرف إقبالا كبيرا للطلبة[60] ، ولذلك دعا البلغيتي شيوخ التدريس إلى عدم إعطاء الأمر أهمية كبيرة لأن ذلك يخرج المعلم عن إخلاصه لعمله، أو كما قال :"من علامات عدم الإخلاص في تعليم العلم أن يغضب المعلم على من ذهب من تلامذته إلى غيره ويتأثر بذلك وينشط بإقبال الطلبة على مجلسه وعمارته بهم وينعكس حاله بعكس ذلك نسأل الله التوبة من جميع الذنوب والتوفيق للعمل المحبوب"[61] ،وكذلك يمكن للمتعلم أن يلازم شيخا واحدا[62] ،وهذا مخالف تماما لما يقع في المدرسة[63] حيث الطالب فيها مجبر على الحضور في وقت معين ولا يغادر الدرس إلا عند انتهاء الشيخ من إلقائه وليس له أن يختار شيخه بعكس ما يقع في الجوامع.ونتج عن هذا تكاثر عدد الطلبة في الجوامع والزوايا[64] ، عكس المدارس التي كان عدد المتعلمين فيها لا يتجاوز رقما معينا، ففي أكثر الأحيان يحدد منشئ المدرسة عدد الطلاب الذين يسمح لهم بالإقامة فيها، وهو يكون في غالب الأحيان موافقا لعدد غرفها. ومما كان يزيد في نقص طلبة المدارس هو استيلاء البعض من سكان البوادي والمدن على بعض بيوتها لتخزين غَلّاتهم أو للاستراحة بها[65] . وكان طبيعيا أن يتقاطر على المؤسسات التعليمية المغربية طلبة حتى من خارج المغرب[66] في حالة وجود شيوخ ومدرسين ذوو شهرة كبيرة.

وكان العديد من الطلبة بعد دراستهم بإحدى المدارس يواصلون تلقي العلم في الجوامع- مثل جامع القرويين-التي كان العديد من علمائها وموظفيها من أئمة وقضاة ومفتين، يقضون العديد من السنين للتعليم في إحدى المدارس[67] ، قد تتوج حياتهم العلمية بتولي خطبة الإمامة أو

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

الإفتاء[68] .وعندما ينال الشهرة الواسعة في رحاب الجامع، يمكن أن يحصل على منصب في إحدى المدارس التي تضمن له دخلا محترما[69] .

4- صفات المدرس وعلاقته بالمتعلم والدولة:

تميز الأساتذة بالتواضع في المأكل والملبس بدليل أن المدرس المفتي الخطيب سيدي يحيى بن محمد السراج الأصغر كان "لا يتصنع في مأكول ولا ملبوس، ولا يتخذ مأكولا مخصوصا كأبناء جنسه..."[70] وإن كان يفهم من هذا الكلام أن بعض الأساتذة حاولوا أن يكونوا متميزين، عن الطلبة وعن العامة من الناس، وهو أمر مقبول لأنه لا بد للمدرس أن يلبس "أرفع ثيابه مما يليق نوعه في زمانه وبلده قاصدا بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة لا رياء وفخرا ولا سرفا ..."[71] ، لكن ليس إلى درجة المبالغة في ذلك والمباهاة والافتخار مثلما كان يفعل بعضهم من "عظم الهامة، وتكبير العمامة*، وإرخاء الرداء على الوجه كأنه عروس، والتصنع في المشية والتكلف في الملبوس"[72] .كما تميزت العلاقة بالاحترام المتبادل لبعضهم البعض من جهة، ثم بينهم وبين الطلبة من جهة ثانية[73] ، ولذلك كانت حلقات الدرس يحضر فيها الطلبة والأساتذة مما كان يزيد في إغناء النقاش. فقد ورد أن مجلس علي بن موسى بن هارون المطغري (ت.951هـ/ 1544م) كان يحضره إلى جانب الطلبة كل من "عبد الواحد الونشريسي،واليستني، وأبو محمد الزقاق، وأبو عبد الله العيسي، وأبو عبد الله العدي، وأبو راشد اليدوي، وأبو العباس المنجور، والشيخ أحمد المقري ... وغيرهم. لا يستنكف منهم أحد، والزقاق هو قارئ صحيح البخاري بين يديه في رمضان سنين عديدة"[74] ، كما أشار الكلالي[75] إلى الشخصيات العلمية التي كانت تحضر دروس أبي محمد بن عبد الواحد الحميدي. لكن العلاقة بين بعض الأساتذة والسلطة كانت في بعض الفترات متوترة مثل حالة اليوسي الذي كان الأمير "لا يدعه يتقرّر في

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

موضع بل يأمره بالرحيل لموضع آخر..."[76] بسبب انزعاجه من اجتماع الكم الغفير من الطلبة في مجلسه.

ومن الواضح أن تدخل النظام الحاكم كان خاصة على مستوى المدرسين الذين يقع تعيينهم من قبله، وهم في واقع الأمر مأمورون من قبل الحكومة التي تتولى صرف مرتباتهم، لذلك كانت تعينهم وتعفيهم من مناصبهم متى شاءت[77] ، ولكن وبطبيعة الحال وجد من المدرسين الذين لم ينطبق عليهم هذا الواقع مثل محمد بن أحمد القسنطيني الكماد (ت. 1116هـ/ 1704-05م) الذي كان من القوة بمكان حتى أنه لا يمكن أن نتوقع تدخل السلطان في شؤونه أو في المواد التي يدرسها، بل وقد حصل على مكانة محترمة في المجتمع و"... أذعن له الكافة من علماء عصره، وعظم صيته لدى الرؤساء وغيرهم من أعيان دهرهم... ورأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدون، فأكثروا الازدحام عليه، وتوجهت عيون أهل الدولة إليه فارتفعت مرتبته..."[78] .وأمثال القسنطيني الكماد كثيرون، فالمدرسون نالوا في غالب الأحيان مكانة مرموقة لدى الجميع، خصوصا إذا علمنا أن الكثير منهم تحصلوا على مناصب أخرى هامة دينية وسياسية، إذ أن الأشخاص الذين تولوا مهام الإفتاء والإمامة، درسوا في آن واحد بالعديد من المدارس.

إن تجديد مناهج التدريس وإدخال مواد دراسية جديدة، التي نادى بها العديد من العلماء، ومنهم اليوسي، لم يكن يروق السلطة وحتى الطلبة في بعض الأحيان، وقد رأينا سابقا نفور المتعلمين من مجلس محمد القصار الذي كان متخصصا في العلوم النقلية والعقلية والتي لم يستوعبوها لصعوبتها ولعدم وضوح طريقة الشرح[79] ،ولذلك دعا سيدي محمد بن عبد الله إلى الاهتمام بجوهر العقيدة الإسلامية وتفقيه المتعلمين في أمور وأحكام الدين، وانتقد ظاهرة اختزال العملية التعليمية في الحفظ، وهو نوع من التعلم الأولي

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

الأساسي الذي ينبغي أن يكون عاما في البوادي والحواضر للخاصة والعامة في منظور السلطان :"اعلم أرشدنا الله وإياك أنه يجب على معلم صبيان المسلمين أن ينصحهم ويبذل المجهود في ذلك لأنه خليفة آبائهم، بأن يعلم من أتاه منهم أولا الفاتحة وحزب سبح، فإذا صعب عليه فيقرئه ربعه الأخير من والعاديات، فإذا حفظ ذلك فليعلمه عقيدة الشيخ ابن أبي زيد حتى يحفظها وترسخ في ذهنه ... ويبين له أن الماء على ثلاثة أقسام، الأول ما يصلح للعادات والعبادات ... والثاني ما يصلح للعادات ... والثالث ما يصلح للعادات ولا للعبادات ... فليبين له أحكام الطهارة ... ثم يبين لم أحكام التيمم ... ثم أحكام الصلاة ... كذلك على معلم الصبيان أن يعلمهم الآذان ... ويكون معلم الصبيان يصلي بهم... ويتأكد على المعلم إعادة هذه الأمور على الصبيان وتكرارها حتى ترسخ في أذهانهم، فإن تعليم الشيء في الصغر كالنقش على الحجر... فارسخ ما ذكرناه في عقل الصبي وعلمه بشّر المعلم بذلك والده وأرشده إلى إعمال الختمة ... ثم إن ظهرت فيه نجابة في القراءة فليتركه يقرأ وإن لم تكن فيه نجابة... فعليه أن يحترف بالحرفة التي كان والده يحترف بها "[80] . وبالمقابل انتقد (سيدي محمد بن عبد الله) المدرسين والطلبة الذين يهتمون بالمنطق وعلم الكلام والفلسفة وبكتب التصوف والقصص، وحرم تدريس هذه المواد في مؤسسات الدولة سواء كانت مدارس أو جوامع وحتى في المساجد والزوايا. وقال في هذا الشأن :"ومن أراد أن يخوض في علم الكلام والمنطق وعلوم الفلاسفة وكتب غلاة الصوفية وكتب القصص فليتعاطاه في داره مع أصحابه الذين لا يدرون بأنهم لا يدرون، ومن تعاطى ما ذكرناه في المساجد ونالته عقوبة فلا يلوم إلا نفسه، وهؤلاء الطلبة الذين يتعاطون العلوم التي نهينا عن قراءتها ما مرادهم بتعاطيها إلا الظهور والريا والسمعة ويضلون طلبة البادية "[81] .

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

ورغم الإصلاح الذي أدخله المولى سليمان (سلطان المغرب ما بين 1792 و1822م) على طرق التدريس في القرويين والذي كان يجمع بين الحفظ والشروح الطويلة إلا أن ذلك لم يكن كافيا حسب أحدهم، لأنه كان يرى أن "العيب في طريقتي التربية في هذا العهد ليس هو... في كون كل منهما ناقصا مقتصرا على جانب معين، وأن الكمال في الجمع بين الطريقتين، طريقة الحفظ وطريقة الشروح الطويلة والتفريعات العديدة، كلا... إن العيب مشترك بين الطريقتين، وأن هذا العيب نابع من الكتب المتداولة في التدريس: فمن حيث كونها "مختصرات " مركزة، كانت طرق التعليم تعتمد أساسا على "الحفظ " والتلقين قاصدة من ذلك إنشاء أدمغة مسجلة حافظة أكثر من حرصها على إعداد فكر التلميذ للبحث والابتكار والشرح والتجديد[82] .

5- التخرج والشواهد العلمية:

بما أنه لم تكن تجري امتحانات لمنح الطالب شهادة يتخرج بها. فالطريقة كانت أبسط بكثير من طرق عصرنا هذا. فإذا ختم المتعلم القرآن يقيم أولياؤه حفلة[83] بحضور شيخه وأصدقائه اعترافا له بمجهوده، وحينما يدرس الطالب على شيخه كتابا أو عدة كتب يمنحه إجازة[84] وهي الطريقة التيكانت متبعة في كل الحالات.

وقد تهافت الطلبة على استجازة العلماء المشاهير والشيوخ الكبار، إذ كان الجميع يعتبرون دراسة الطالب للكتاب بنفسه من غير سماع على شيخ خطأ كبيرا[85] . وتكون الإجازة في أكثر الأحيان خطية يذكر فيها اسم الطالب الملتمس للإجازة، واسم المدرس الذي منحها إياه، ويذكر المجيز أيضا المصنفات التي أخذها الطالب عنه، والتي يسمح له بتدريسها[86] ، كما تكون في بعض الأحيان مشافهة وإذنا باللفظ[87] ، ويذكر في أغلب الأحيان كل طالب أنه أخذ عن شيخه كثيرا من المؤلفات ويكتبها مفصلة، أو يذكر أنه

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

تحصل على إجازة عامة، بعد مجالسة طويلة[88] .وفي فترات الاضطرابات السياسية والطبيعية وبسبب الخوف من تراجع الحركة العلمية وتناقص العلماء والمدرسين كان الأستاذ يمنح الإجازة لجميع من حضر مجلسه من الطلبة حتى يتمكنوا من نشر وإحياء الحركة العلمية كما فعل التمنارتي سنة 1036هـ/ 1626م حيث كثرت الاضطرابات بعد وفاة أحمد المنصور السعدي[89] ، كما تكون الإجازة جماعية في حالة الرغبة في نشر العلم وتطويره في مناطق جديدة أو في تلك التي تعاني من نقص وضعف التعليم مثل استجازة أهل تكرور للنهروالي[90] ، وهو ما يفسر الوعي بأهمية الموارد البشرية ولاسيما الأطر التربوية في عملية التدريس ونشر العلم. وقد تكون الإجازة في بعض الأحيان باللفظ والخط معا. فقد ذكر الكتاني أن محمد بن التاودي بن سودة المري (ت.1194/ 1780) " أجازه والده باللفظ والخط "[91] . وكان بإمكان الطالب أن يحصل على عدة إجازات من أستاذ واحد مثل إجازاتي أحمد بابا السوداني لعبد الرحمان بن الوقاد[92] ، في إشارة إلى تعدد التخصصات العلمية. كما كان بإمكان طالب واحد أن يحصل على إجازات من عدة أساتذة مثل الطالب أدفال الذي حصل على إجازة من أبي زكريا الحطاب ومن محمد بن عيسى التلمساني[93] .

واجتهد بعض الطلبة في الحصول على إجازات من خارج المغرب مثل محمد بن التاودي بن سودة الذي سافر إلى الحرمين والديار المصرية والتقى بعلمائها "واقتبس من أنوارهم، وأخذ عنهم وأجازه أكثرهم ..."[94] ، وأحمد بن موسى (ت. 1046هـ/ 1617-18م) الذي حصل على إجازة أحمد بابا السوداني[95] ، ومحمد بن الشاذلي الدلائي (ت. 1107هـ/ 1677م) الذي التقى في رحلته للحج بعدد من الشيوخ المشارقة كأبي الحسن علي الشبرملسي والشيخ إبراهيم الكردي "وله منهم إجازات"[96] ، وسعيد الماغوسي الذي

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

حصل على إجازة محمد بن ناصر الدين الطبلاوي الشافعي بالقاهرة سنة 914هـ/ 1583م. ومما جاء في هذه الإجازة :" وقد أجزته أن يروي عني جميع ما يجوز لي روايته ودرايته من العلوم الشرعية والآلية ..."[97] .

وتمنح الإجازة أيضا شعرا أو نثرا. فمن الإجازات التي منحت نظما القصيدة التي أجاز بها أحمد المقري عام 1029هـ/ 1617م محمد بن يوسف التملي والتي جاء فيها:

" أيا ماجدا أعيت محاسنه الوصفا *** وإنسان عين الود والأخلص الأصفى
ومشكاة أنوار القراءاتـ والأدا *** وساحب أذيال الكمال على الأكفـــا
وها أنا أشهدت أني أجزتكـــم *** على السنن المألوف والمقصد الأوفى
وجميع تأليفي ونظمي وإن هـوى*** ونثري وإن جاز الركاكة والضعفـا"[98]

أما بالنسبة للإجازة بالمراسلة أو المكاتبة، نذكر إجازة بدر الدين القرافي قاضي قضاة المالكية بمصر قبل عام 1008هـ/ 1600م بالقاهرة لمحمد بن قاسم القصار، ومما جاء فيها:

لقد أبديت حقا لا مجازا *** بما صار الفقيه به مجـــــازا
محمد بن قاسم من فـــاس *** وبالقصار قد عرف امتيـازا[99] .

ونتيجة لتهافت الجميع على الإجازات من الشيوخ البارزين، أصبح هؤلاء يجيزون قبل وفاتهم علماء عصرهم وجل من يطلب منهم ذلك. ولدينا نموذج من هذا الصنف من الإجازات هو أحمد الدقون الأندلسي الذي أجاز قبيل وفاته عام 921هـ/ 1515م بمدينة فاس محمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي إجازة عامة[100] ، وأبو الفضل التيجاني الذي استجاز أعلاما من سبتة، وكان ذلك بواسطة ابن رشيد الفهري، حتى أن البعض أصبح يطلب إجازة له ولأبنائه[101] .

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

وتحمل الإجازة في أسفلها التاريخ (السنة) مثل وكتب محمد المذكور (محمد القصار) أول ربيع الثاني عام اثني عشر وألف[102] ، كما تحمل عبارات تعتبر بمثابة توقيع شبيه بمصلحة تصحيح الإمضاء ومطابقة الأصل مثل :"وكتب العبد الفقير عبد الله بن علي الحسني لطف الله به"[103] .

6- العقاب البدني والنفسي:

ظل التدريس ولا سيما في مرحلة التعليم بالكتاب، يعتمد على العقاب البدني والنفسي وهو ما أثار نقاشا بين الفقهاء منذ العصور الوسطى، وتمكن البعض منهم من أن يخطو خطوات مهمة في علم النفس التربوي أمثال أبي بكر المرادي[104] الذي دعا إلى التدرب على العادة الحسنة والإقلاع عن العادة السيئة كما يتضح من هذا النص : " ... ووجدنا العادة تسهل الأمور الصعبة، وتصعب الأمور السهلة. والعادة السوء، إذا استحكمت، كالطبع الرديء في الثوب الجيد إذا وسخ. وربما زال الطبع الرديء في الثوب، وأعوز زوال العادة من المعتاد.

والتحرز من سوء العادة يكون بوجهين، أحدهما*، التدرب على العادة الجميلة قبل اتخاذ القبيحة من سن الحداثة. وهذه الطريقة أسهل ما تعالج به العادة القبيحة بعد اتخاذها، وذلك مختلف بقدر اختلاف الأسنان (الأعمار) واستحكام العوائد. فإن كانت العادة قديمة والسن كبيرة فعلاجها معن (شاق ومتعب) في غالب الأمر... وإن كانت في السن بقية والعادة السوء غير مستحكمة، فهاهنا يرجى الصلاح بما يتجرعه المعالج بالانتقال عنها على التدريج، بأن يزيد في كل وقت من أوقات العادة شيئا قليلا في الإمساك عن الزيادة، حتى يقف على حد السلامة، فيأخذ نفسه حينئذ بالدوام...".

وحذر سحنون من الإفراط في العقاب البدني[105] ،كما نهى أبو زيد القرواني على التشديد على الصبي في صغره لأن ذلك فيه مضرة على عقله

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

وجسمه[106]. وتنبه ابن خلدون إلى خطورة العقاب البدني وخاصة على الصبيان والخدم لما يغرسه فيهم من كذب وخوف وخبث في مستقبل أيامهم[107] ، ولهذا نصحعلي الخواص (ت. 949هـ/ 1542م) الآباء قائلا :"لا تكثروا ضرب أولادكم ولا تشددوا عليهم بالحبس في الدار والمكتب مثلا وكثرة القراءة فإن ذلك يميت نفوسهم عن الأسباب ويولد عندهم الجبن والبخل والكسل..."[108] .

ومن حيث العقاب النفسي فقد نهى بعض الفقهاء عن سب وشتم وإهانة المتعلمين بألفاظ قبيحة مثل يا قرد[109] ، ويا ثور، ويا حمار وأذهان البقر[110] لأن العنف اللفظي تترتب عنه ردود أفعال عنيفة من بعض المتعلمين كما تنبه إلى ذلك علي الخوّاص الذي قال :"ولا تعنفه عليه [على الخطأ] ... وارفق به ما استطعت، وإياك أن ترى نفسك عليه حال الإنكار لأن نفسه تتحرك وتعاندك ولو كان معك الحق اليقين"[111] .

يظهر من هذا أنه كان هناك وعي بخطورة العقاب النفسي والبدني وانعكاساته السلبية على المتعلم إن حاضرا أو مستقبلا[112] ، لكن بما أن هذا العقاب كان الوسيلة الأساسية لشحن المتعلمين على الاجتهاد[113] والانضباط داخل القاعة والتأدب خارج الفصل، فإن الفقهاء أجازوه مع ميل المفتين إلى الاعتدال وتحذيرهم من الضرب المفرط أو في مقتل[114] . فابن الحاج مثلاأجاز ضرب المتعلم ضربا خفيفا واستحسن تقديم التخويف قبل الضرب، وأورد في هذا أبياتا شعرية:

وجاز ضربه بسوط وعصـــــا *** لينة كل صبي قد عصـــى
من غير أن يهش عظما أو يشين ***جارحة ومع ذلك استبـــين
لكنه يجب أن يخوفـــــــــا ***من قبل ضربه له فإن كفـى[115]،

وجاء في المعيار أنه يجوز ضرب الصبي بالدرة الرطبة المأمونة لئلا يؤثر أثر

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

سوء[116] . وأفتى بعض الفقهاء، مثل محمد الشيبي (ت. 837هـ/ 1440م)، أن يكون العقاب البدني حسب البنية الجسمانية للمتعلم وقدرته على التحمل وأن لا يتعدى عدد الضربات ثلاث ضربات[117] ، وحدده أبو الحسن القابسيفي عشر ضربات لكن دون أي تأثير في الجسم[118] .

لكن العقاب البدني كان أحيانا قاسيا يصل إلى حد لطم "الولد على وجهه ورأسه فتسيل منه الدموع من شدة ضربه له حرصا على أداء حق له في التعليم لكون الأولاد إن رأوا التراخي منه اشتغلوا باللعب وذهلوا عن القراءة "[119] ،بل إن كتب النوازل تشير إلى أن هذا النوع من العقاب أحدث عاهات مستديمة بالنسبة لبعض المتعلمين وأدى في حالات أخرى إلى الوفاة، فقد جاء في فتاوى البرزلي أن معلما ضرب صبيا بالسوط وفي رجله قرحة صارت ناصولا شك في موته به[120] ، ولهذا أفتى الفقهاء بالقصاص على المعلم إذا جاوز الحد في ضرب الصبي[121] .ويتضح من كتب النوازل أن العقاب شمل أيضا الحرمان من الحصة الدراسية وذلك بإخراج "المشاغبين" من القاعة[122] .

ومن جهة أخرى عانى البعض من الصبيان من أضرار معنوية ونفسية بسبب تمييز بعض المؤدبين بينهم وبين أبناء الأغنياء، فالفقيه محمد بن يوسف الترغي (ت.1009هـ/ 1600-01م) مثلا "كان أولا يحض بتعليم الأشراف وذوي الجاه ويستنكف عن الضعفة والمساكين"[123] ، كما فعل مع الكفيف محمد بن علي الجزولي (ت.ق11هـ/ 17م)، الذي لم يقبله للتعلم على يديه إلا بعد محاولات عديدة قال عنها: "سنة كاملة أرد بابه للقراءة عليه فيرفعني عنه وربما يخرج ويجرني ببابه فيقول يا أعمى ما زلت لم تقنط فيطردني حتى تمت السنة وأنا في ملازمة بابه ولما أراد الله أن يفتح علي جئته في يوم مطر شديد البرد وقد خضت الطين وتلوثت به ثيابي فقعدت ببابه فخرج فلما

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

رآني كذلك أدخلني وبكى بكاء شديدا ثم قال لي اقرأ فبدأت عليه بالسبع ..."[124].

وفي ميدان التربية الصوفية يقترح بعض العلماء أن يتخذ كل مريد بصره لينظر إلى أخيه نظرة مودة ومحبة وتجعله يحس بها كما يلاحظها الحاضرون[125].

و من جهة أخرى ولحرص الآباء على تعليم أبنائهم، كان كثير منهم يتشددون في منع الأطفال من اللعب حتى لا يلهيهم ذلك عن التعلم، فمثلا حينما بدأ محمد العربي الفاسي (ت. 1055هـ/ 1642م) يتردد على المكتب أوصى والده مؤدبه بأن يتركه إذا أراد المشي للدار والوضوء ولا يمنعه إلا من اللعب[126].

لقد كان العقاب البدني والنفسي سببا في هروب بعض المتعلمين من الكتاب وانقطاعهم عن الدراسة[127] وهو عامل ساهم في ارتفاع نسبة الهدر المدرسي في مرحلة التعليم الأولي (الكتاب) وبالتالي زيادة الأمية والجهل في المجتمع المغربي وحرمانه من طاقات بشرية مهمة كان بإمكانها رفع مستوى التنمية في هذه الفترة من تاريخ المغرب.

وقد تنبه الفقهاء والعلماء إلى الأضرار الناتجة عن العقاب النفسي والبدني منذ القرن 16م وهو ما ركز عليه الباحثون التربويون وعلماء الاجتماع في دراساتهم الحديثة، وتحاول المنظومات التربوية حاليا ترسيخه في المؤسسات التعليمية.

7- أجرة المدرسين والحوافز المعنوية والمادية:

نظرا للدور الذي كانيقوم به المدرس في حياة الناشئة، كان لابد من مقابل مادي له (أجر)[128] ، يؤديه أولياء أمور المتعلمين أو المحسنون أو الجهات الرسمية. ففي البادية مثلا كان المعلم في الكتاب يتقاضى أجرا نقديا

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

أسبوعيا أو شهريا أو سنويا كما ورد في سؤال في المعيار[129]:"وسئل العبدوسي عن رجل كان في المسجد الجامع الأعظم بأجرة قدرها اثنا عشر دينارا صغيرة في كل شهر..."، وقد يكون أجرا عينيا كالمواد الغذائية مثلا بالنسبة لسكان البادية[130] ، كما قد يكون الأجر مرتبطا بالمناسبات مثل ما كان يأخذه المعلم "ممن ولدت في الحومة"[131] .

على أنه وفي بعض الأحيان كان المبلغ المطلوب سببا في نفور الطلبة وهروبهم من الكتاب كما ورد في سؤال آخر :"وسئل القاضي أبو عمر بن منظور عن إمام مسجد وأضيف إليه لذلك المسجد المذكور محضرة يقري فيها الأولاد، وصدر أمر مولانا السلطان بدرهمين في اليوم ليتقوى راتب ذلك المسجد، فانفتحت فوقها محضرة ثانية فتفرقت الأولاد ونفرت..." [132] .

وتكلفت الجهات الرسمية، كالأوقاف مثلا، بأجرة المدرسين في الكتاتيب القرآنية، فهذا أبو العباس السبتي كان يعلم النحو والحساب بأجر ويتقاضى جراية من بيت المال بوصفه من هيئة الفقهاء فيوزعها على الطلبة الوافدين عليه[133] .

وأغدق بعض المحسنين بتبرعاتهم النقدية والعينية على صبيان الكتاتيب القرآنية ومدرسيها. فقد ورد أن هاشم بن مسرور التميمي من أهل إفريقية كان إذا ظهرت بواكير الفاكهة يشتري كميات منها ويقدمها بنفسه إلى صبيان الكتاب القريب من بيته. وهذا أبو عبد الله التاودي كان يغسل ثياب الصبيان ويرتقها بنفسه ويأخذ الأجرة من أولاد المحسنين ويدفعها لأبناء الفقراء[134] ، علاوة على تحبيس بعض المحسنين للعديد من الفدادين على طلبة المدارس والكتاتيب القرآنية[135] .

وبما أن الأساتذة كانوا يتقاضون رواتبهم من الدولة باستثناء البعض منهم، والذين ترفعوا عن ذلك وعملوا على كسب معاشهم عن طريق ممارسة

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

حرف معينة[136] ، فإن غالبيتهم لم ترتفع مداخيلهم، لاسيما وأن أجرة المعلم كانت حسب مرتبته في العلم وكفاءته[137] .فهل كانت قلة المداخيل سببا في مطالبة بعض المعلمين المتعلمين بإحضار هدايا لهم؟ أم أن الخوف والتقرب من المعلم هو سبب تقديم هذه الهدايا؟. فقد سئل القابسي عما يأتي به الصبيان من بيوت آبائهم بغير إذنهم بتلكف المعلم أو بغيره[138] .

وجعل المولى إسماعيل لمجموعة من الفقهاء المدرسين مرتبا شهريا[139] ، كما خصص لبعضهم، وخصوصا أصحاب الكراسي العلمية، انتفاعا من الأوقاف الخاصة بكل كرسي علمي[140] .

وبذلك ينطبق عليهم قول ابن خلدون الذي أشار إلى أن القائمين بمهمة القضاء والإفتاء والتدريس والإمامة والخطابة ونحو ذلك "لا تعظم ثروتهم في الغالب، ويهتم بإقامة مراسيمهم صاحب الدولة بما له من النظر في المصالح، فيقيم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة إليهم، فلا يصح من قسمهم إلا القليل، فلذلك لا تعظم ثروتهم"[141] .

ونظرا لما للتحفيز والتشجيع[142] من أهمية في التحصيل وبذل المزيد من الجهد والمنافسة[143] ، كان أولياء الأطفال يقيمون حفلات كبيرة يدعون إليها أصدقاء المتعلم، ويلبسون الطفل الحافظ للقرآن لباسا فخما وهو راكب على متن صهوة جواد، ثم تقام وليمة يحضرها أصدقاء والد الطفل، ويقدم كل واحد منهم هدية للمعلم، كما يقدم له ـ الطفل المحتفل به ـ كسوة جديدة، كما جرت العادة في فاس مثلا[144] . وقد صور صاحب كتاب " الوزان الفاسي وآثاره"[145] حفل ختم القرآن تصويرا رائعا، فقال :" ... كلما أبلغ التلميذ إلى قسم من القرآن قدم أبوه صلة للمعلم، وإذا ختمه أقام الأب حفلة لسائر رفقاء ابنه، فيأتي ابنه محفوفا بهم في أثواب فاخرة راكبا على جواد رفيع يعيره عامل المدينة بسلاحه الثمين لكل من ختم القرآن، ويركب حوله

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

سائر رفقائه على الفرسان ويأخذون في إنشاد أشعار في تمجيد الله ومدح نبيه، ثم يقبلون إلى محل الاحتفال الذي يحضره سائر أحباب الأب بقصد أن يقدموا جميعا هدايا للمعلم ويظهر سائر الأطفال بهذا الاحتفال في أثوابهم الرفيعة كما تقتضيه العادة".

وكانت حفلة الختم مصحوبة ببعض العادات والطقوس يقربنا منها العلمي في سؤال لسيدي أبي القاسم بن خجو هذا نصه:"الحمد لله سيدي رضي الله وأدام بكم الانتفاع وجعلكم من أهل السنة والأتباع، جوابكم في حضور الطلبة الختمة مزينين وبعضهم مكحلين مسوّكين [الاستياك بالسواك] يذكرون الله بالسهو واللهو وتعلية السكاكين والنبابيل والشطح بهم وغير ذلك على أعين النساء وغيرهن إلى ان افترقوا على هذه الحالة، فبعد بلوغهم إلى الدار التي تكون فيها الختمة صنعوا حلقة ورفعوا اصواتهم بذكر أحد الرحمان وضرب الكف والشطح، فمنهم من يضرب برجله الأرض، ومنهم يرتفع بنفسه إلى الهواء، وفي وسطهم واحد منهم يلعب، وفي يده سكاكين، وذلك كله مع حضور النساء، وفعلهم ذلك ضادين للفقراء ناكرين لتنكيرهم، ورفضوا قولهم ونبذوه وراء ظهورهم..."[146].

إن عادة الاحتفال بختم القرآن الكريم بالنسبة لأطفال الكتاتيب، نعتبرها من بين المحفزات التي انعكست إيجابا على التعلم،إذ شجعت المتعلمين على المزيد من العطاء والاجتهاد وبث روح المنافسة بينهم لاستكمال دراستهم، وساهمت بالتالي في رفع نسبة المتعلمين وفي تخرج مجموعة من العلماء وفي مجالات علمية متعددة.

وشجعت الجوائز المالية الملكية العلماء على الاجتهاد والابتكار. وكانت هذه الهبات تقدم فيشهر رمضان وفي أيام الأعياد مثل، عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد عاشوراء، وعيد المولد النبوي الذي اعتبر في عهد

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

المنصور أكبر احتفال رسمي للدولة والأمة إذ كان يتوافد على قصره وعلى قصور أبنائه في الأقاليم المختلفة أفواج من الأدباء والشعراء والفقهاء والعلماء يتنافسون كل في مجاله، ويختم الاحتفال بتقديم هبات مالية كبيرة، بحيث وكما قال الفشتالي:﴿ما عهدنا بذل المئين في الصلات إلا في أيام الشرفاء، ولا عهدنا بذل الألوف إلا في أيام أمير المؤمنين المنصور أيده الله﴾[147].وقدر أحمد بن القاضي مبالغ صلات أحمد المنصور للحاضرين في حفلات عيد المولد النبوي بما يتراوح بين 300 و 5000 أوقية من الذهب[148] .

وكانت هبات أحمد المنصور لبعض العلماء بالغة السخاء. فالفقيه أحمد الزموري الذي كان يؤم به في تراويح رمضان، كان مقدار ما تحصل عليه نحو خمسة آلاف أوقية ذهبية، وجنانا، وأرضا للحراثة بمراكش[149] . وكا ن نصيب الأديب محمد بن عمر الشاوي، رفيق أخيه عبد الملك عند أتراك الجزائر،خراج قبيلة مسوفة[150] كله باستثناء أعشار الزيت والذي تنازل له عنه المنصور فيما بعد مدى الحياة[151] .كما اهتم المولى الرشيد بالعلماء وحرص على بث روح المنافسة فيما بينهم، وتحفيزهم بهبات مالية، بحيث كان يجالسهم ويكرمهم، ويخبرنا القادري بذلك قائلا:"وقد جبل على شيم مرضية وهمم عالية، كمجالسته للعلماء وإكرامهم، ومباسطتهم بين الملإ وإعظامهم"[152] .

وحظي العلماء في عهد المولى إسماعيل أيضا بمكانة متميزة إذ كان يجالسهم ويحفزهم ويغدق عليهم بعطاياه الكثيرة حتى إن "بلاطه كان غاصا بالشعراء والكتاب، وأن حسن سياسته وجميل صنعته كان إلهاما لهم بأمداح ثرة غزيرة، وقصائد ملؤها التسابق في الجودة والتنافس في التكريم"[153].

ولنفس الغاية حرص على تنظيم احتفالات خاصة بختم الكتب، كان يحضر إلى بعضها شخصيا، ويشجع المشاركين في هذه التظاهرة الثقافية بجوائز قيمة حفزت الشعراء والأدباء على الاجتهاد والتنافس، وتنظيم قصائد شعرية

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

حظيت برضى السلطان، مثل قصيدة الشاعر علي مصباح(ت1150/ 1737) بمناسبة ختم محمد بن أحمد بن علي المسناوي لكتاب " الشفا " للقاضي عياض :

هذا أمير المؤمنين أنالكـم *** مرغوبكم إكرام ختمكم الشفـا
نادى برفع مقامكم وعلاكم *** أنتم حماة الدين أصحاب الشفا[154] .

وقد أجاز المولى إسماعيل صاحب القصيدة بكسوة ومائة مثقال[155] .

وكان المولى إسماعيل يأمر بتفقد أحوال الصبيان في المكتب، ويجري عليهم جرايات، حيث " بلغ كل معلم ولو كان بالبادية الأرب، وأسقط الكلف عن والد كل من ظهرت نجابته في البدو والحضر، وأظهر فضلهم لكل قاص ودان، فتنافس الناس في الأقطار المغربية في ظهور العلم حتى علا وانتشر، وعمرت المدارس، وكثر فيها وفي سائر المساجد التدريس"[156] .

خلاصة:

رغم طول الفترة الزمنية التي حاولنا أن ننبش فيها وضعية التعليم، فإنه بإمكاننا أن نجزم أنه لم يحصل تطور ملحوظ في طرائق ومناهج التدريس مما يدل على أن حركية المجتمع ظلت بطيئة رغم تزايد أعداد العلماء الذين تم تخريجهم في التخصصات العلمية المختلفة.

ورغم التحسن في طرائق التدريس في هذه الفترة فإنها لم تتجاوز الكثير من خصائص المراحل السابقة بحسناتها وسلبياتها. وباستثناء التجديد الذي نادى به بعض العلماء، فإن الحياة العلمية كانت تميل إلى التقليد، ذلك أن المدرسين والطلبة كان همهم هو معرفة وجمع أقصى ما يمكن من المادة التي أنتجتها الأجيال السالفة. وكان التركيز الأكبر يميل إلى التفقه في الدين والشريعة الإسلامية[157] اعتمادا على الذاكرة الجامعة.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

لقد عانى معظم المدرسين من نقص الكفاءة المهنية، ولم يكن لدى الكثير منهم الإلمام الكافي بطرائق وأساليب وشروط التدريس، وظلوا يقدمون المادة العلمية بطريقة تقليدية تعتمد الإلقاء من الأستاذ إلى الطالب مشافهة.وقد صور لنا اليوسي الوضعية أثناء رده على انتقاده بعض القضاة المدرسين قائلا:"ثم يلزمك أيها الناصح في مثل ما يلزمنا،[...]، فإنك تصدرت للتعليم فهل رأيت بعينك متعلما على شروط التعليم المعتبرة؟ أو هل رأيت في نفسك شروط المعلم؟ "فلا بد أن تعرض على نفسك شروط المعلم" وعلى من يجلس إليك شروط المتعلم، فإن تجد ذلك صحيحا ظاهرا أو باطنا فتصدر، وإن وجدته مختلا فكيف يحل لك أن تتصدر، وارتفاع الشرط يوجب ارتفاع المشروط، وقد قال صلى الله عليه وسلم :"لا تُؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها..."[158] ،وهو كلام يؤكد كذلك أن البعض من المدرسين، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، كانوا يبتعدون عن قيم المهنة العلمية واستغلوا نفوذهم لتولي التدريس، وجمعوا بين التدريس ومهن أخرى مما كان يؤثر سلبا على مردوديتهم وعطائهم.

ومن جهة أخرى فقد ظل الفكر الغيبي حاضرا في المناهج والطرائق التدريسية، وهو ما جعل "المنظومة التربوية" المغربية غير قادرة على مسايرة التحولات التي بدأت تعرفها أروبا منذ عصري النهضة والأنوار في الميدان العلمي والتي مكنتها من دخول الثورة الصناعية وبالتالي ترجيح كفة التوازن بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط لصالح الضفة الشمالية. ولعل إرسال المغرب للبعثات العلمية خلال القرن 19م إلى أوربا هو دليل واعتراف بفشل، أو بمحدودية، المناهج التعليمية فيما بين القرنين 16 و18م،بل أكثر من ذلك فإن الكثير من الطلبة لم يتمكنوا من تجاوز الفكر الخرافي والغيبي[159] الذي ظل ينتعش في فترات الأزمات.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

وعلاوة على هذا كانت المؤسسات التعليمية قليلة أو شبه منعدمة، أو بعيدة عن أماكن الاستقرار وخاصة في البوادي البعيدة والمنعزلة[160] ، دون إغفال صعوبة تكاليف الدراسة[161] والعقاب البدني والنفسي التي كانت تحرم الكثير من الأطفال من التعلم أو تدفعهم إلى الانقطاع (الهدر المدرسي). كما أن وضعية التعليم ظلت مرتبطة بالأوضاع السياسية للدولة المغربية: تتحسن في حالة الاستقرار وتتراجع في فترات الفتن وانتقال السلطة من شخص لآخر أو في فترات تغير النظام كل[162].

ولهذا كله، فلا خوف إذا قلنا إن نسبة الجهل والأمية ظلتا مرتفعتين في فئات المجتمع المغربي، وفي البوادي أكثر من المدن،كما لا حظ ذلك اليوسي الذي أكد فيه أن الاقتصار على تقليد العلماء السابقين دون مناقشة ونقد أصبح أمرا متجاوزا لا قيمة له، وهو في نظره من أسباب انتشار الجهل والفساد في المجتمع[163] ، وهو تفسير أيده البلغيتي لاحقا حيث أشار إلى أننقص الكفاءة لدى نسبة كبيرة من المدرسين وانتشار المحسوبية أثر سلبا على مستوى الطلبة في البوادي والقرى[164] .

إن العوامل المذكورة ساهمت في هدر الطاقات البشرية التي كان بإمكانها رفع مستوى التنمية في هذه الفترة من تاريخ المغرب والوقوف في وجه الضغوط الاستعمارية التي بدأت مع القرن 19م وانتهت باحتلال البلاد مع مطلع القرن 20م.

ورغم سلبياته، فإن النظام التعليمي في هذه المرحلة تمكن من تخريج عدد غير قليل من العلماء في تخصصات علمية عديدة، وأماط اللثام عن عيوب كثيرة استغلها الباحثون التربويون لإصلاح المناج والبرامج التعليمية في الفترة اللاحقة من تاريخ المغرب.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

الهوامش:

1ـ المقري بن أحمد التلمساني (ت. 1041/ 1631-32): أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، منشورات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية (بيت المغرب) القاهرة، مصر 1942، ج 3، ص: 22-23.

2ـ (ابن) خلدون عبد الرحمان (ت. 808/ 1406): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة جديدة منقحة، بيروت، لبنان 1424/ 2004. ص:452.

3ـ المصدر نفسه، ص:600.

4ـ للمزيد من الاطلاع، تنظر: محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب 1977، ج 1، ص.ص:94-95-96-97-98.

5ـ شبيهة حاليا بالطريقة الاستنباطية التي تقود المتعلم إلى معرفة الأحكام العامة والحقائق بطريقة البحث والاستنباط والاستقراء، فهي تقوم بالبحث عن الجزئيات أولا ووصولا إلى القاعدة، وقد بنيت هذه الطريقة على الخطوات التي وضعها يوحنا فريدريك هاربرت. للمزيد من الاطلاع، تنظر: حسن شحاتة، تعليم اللغة العربية، بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 4، ص: 27ـ 28.

6ـ تعد المحاضرة واحدة من أكثر طرائق التدريس الشائعة في العالم في مختلف مراحل التعليم، وتقوم على أساس أن المدرس هو الشخص القادر على إلقاء وتوصيل المعلومات إلى الآخرين بهدف تنمية عقولهم وقدراتهم التعليمية، وهذا يفترض فيه امتلاكه ثقافة واسعة فضلا عن إلمامه الكامل بتخصصه الدقيق. وتقوم المحاضرة على أساس المشافهة أي أن المدرس يشرح ويفسر المعلومات مشافهة لطلابه مما يعني ابتعاد أسلوب المحاضرة عن عملية الإملاء من كتاب وغيره. وتعد المحاضرة المحك الذي يمكن من خلاله الحكم على شخصية المدرس. لكن المحاضرة تؤدي إلى ملل الطلاب وعدم فهمهم واعتمادهم على الحفظ عن ظهر قلب بدلا من الفهم والتفكير. للمزيد من الاطلاع، تنظر: حسن شحاتة، مرجع سابق، ص: 125.

7ـ تشبه هذه الطريقة حاليا الطريقة الحوارية التي تقوم على الحوار والنقاش والأجوبة للوصول إلى حقيقة من الحقائق. حول هذه الطريقة تنظر: حسن شحاتة، مرجع. سابق، ص: 125.

8ـ يدعو الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102هـ/ 1692م) إلى التمييز بين المتعلمين من حيث قدراتهم، فيما يشبه اليوم البيداغوجيا الفارقية. وفي هذا يقول :"وينبغي للعالم أن يراعي حال الوقت فإن اتفق وجود طلبة العلم النجباء فليشتغل بهم ويودع الحكمة صدورهم [...]، وإن كان متوسطا فالتوسط وهو الأخذ من كل قسم بطرق...". ورد عند : البلغيتي أحمد بن المأمون (ت. 1348هـ/ 1929م): الابتهاج بنور السراج :شرح على منظومة (سراج طلاب العلوم) للعلامة العربي المساري المغربي، طبعة حجرية، د.ت. ، ج 2، ص: 61.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

9ـ محمد بن الطيب القادري (ت.1187هـ/ 1773م): نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني. تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، الرباط 1986، ج 3. ص: 39.

10ـ محمد بن الحسن الحجوجي (ت. 1376/ 1956): مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقوى، تحقيق الدكتور محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1424هـ/ 2003م، ص: 49.

11ـ المصدر نفسه، ص:54.

12ـ المصدر نفسه، ص:61. تتطلب هذه الطريقة، في منظورنا، أن يحدد المدرس وبدقة الوقت المسموح للنقاش وإلا ضاع وقت الدرس دون تحقيق الأهداف المرجوة منه، كما تتطلب أيضا مدرسا قادرا على السيطرة على مجريات الدرس وإلا فإن شخصية بعض الطلبة قد تطغى على مجريات الدرس أو قد تسير الأمور في مناقشات ثانوية كما يحصل حاليا بالنسبة لكثير من المدرسين وخاصة في سلك الثانوي التأهيلي وفي التعليم الجامعي.

13ـ للمزيد من الاطلاع، تنظر: أبو عبد الله محمد أحمد بن سعود العبدري (ت. 720هـ/ 1320م): رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم كردي، نشر دار سعد ط 2، 1992، ص. 139و142.

14ـ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الله الرصاع (ت. 897هـ/ 1492م): فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي، الطبعة 1، تونس 1967،ص: 188.

15ـ ينسجم هذا مع ما ألح عليه السلطان محمد بن عبد الله العلوي (ت. 1204هـ/ 1790م) من تكرار المدرس لما يلقيه على المتعلمين حتى يتمكنوا من استيعابه، ومن أن يترسخ في أذهانهم. مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان، قابله وصححه على النسخة الأصلية: الأستاذ أحمد العلوي عبد اللوي، المغرب 1414هـ/ 1996م، ص: 11. كما أكد اليوسي على أن المراجعة والتكرار والتعليم تعين على ثبات المحفوظ. القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم. تحقيق: حميد حمياني، مطبعة شالة، الرباط، الطبعة الأولى 1998، ص: 473. وكان ابن خلدون قد أكد على أهمية التدرج ومراعاة قدرة الاستيعاب لدى المتعلمين، ثم تكرار ما يلقيه المدرس ثلاث مرات في كل حصة، مع تعمقه في الشرح وإضافة الجديد وتعزيزه بالأمثلة كلما أعاد العملية وتقدم في درسه حتى يحصل الإدراك للجميع. المقدمة، مصدر سابق، ط 2004، ص:605-606.

16ـ غالبا ما يكون من أنجب الطلبة، ويسمى ساردا أو قارئا. وعلى سبيل الذر فقد كان علي بن موسى بن هارون المطغري (ت. 951/ 1544) قارئ ابن غازي في أكثر من دروسه". الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (ت. 1345/ 1927): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء بفاس. تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، مؤسسة النشر والتوزيع، الدار البيضاء 1424/ 2004 ،ج 2، ص: 93. ويسمى أيضا ب

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

"المعيد" في المغرب وب "المكرر" في المشرق وهو من يعيد على الطلبة ما ألقاه المدرس عليهم ليحسنوا فهمه، فهو دون الشيخ مرتبة وأعظم درجة من الطلبة. الرصاع، الفهرست، مصدر سابق، ص. 158.

17ـ وضع أحد الطلبة مقارنة بين حلقات التدريس فقال: "كنت أجلس بمجلس أحمد المقري فأجد العلم كله واضحا، فإذا جلست بمجلس الشيخ ابن عاشر كان كله مشكلا ". ميارة محمد بن أحمد الفاسي (ت. 1072/ 1662): نظم اللآلئ والدرر في اختصار مقدمة ابن حجر، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 3702ز، ص: 333. وكان مجلس محمد بن أحمد بن غازي العثماني (ت. 919/ 1513) "ملجأ سائر القراء والراغبين ... وارتحل الناس للأخذ عنه وتنافسوا في ذلك﴾. الكتاني، سلوة، مصدر سابق، ج 2، 82.

18ـ اليوسي: فهرسة اليوسي. تحقيق: زكريا الختيري، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس الرباط، 2004 ،ص: 58. طبع الكتاب في دار الكتب العلمية، بيروت 2009.

19ـ محمد العربي الفاسي (ت. 1052/ 1642): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، ط. ح، فاس 1324/ 1906، ص: 163.

20ـ المقري بن أحمد التلمساني :أزهار الرياض، مصدر ساق ،ج 3، ص: 33 ـ 34.

21ـ القادري، نشر، مصدر سابق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التراجم 3، الرباط 1977، ج 1ص: 46.

22ـ المصدر نفسه، ج 3، ص: 304.

23ـ المصدر نفسه، ج 3، ص: 295.

24ـ سليمان بن محمد أبو الربيع الشفشاوني الحوات (ت.1231/ 1816م): البذور الضاوية في مناقب أهل الزاوية الدلائية، مخ. م. و. بالرباط ، المغرب، (ضمن مجموع)، عدد د 261 ، ص:477.

25ـ الكتاني: سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 11.

26ـ القادري، نشر، مصدر سابق، ج 3، ص: 283.

27ـ المصدر نفسه، ص: 305.

28ـ حكى الإمام أبو الحسن بن الصائغ عن شيخه أبي بكر بن ورق أنه أقام مدة ولم يأو إلى عمران، وقال :"وما كنا نقرأ عليه إلا في بطون الأودية وشعاب الجبال". للمزيد من الاطلاع تنظر: فاطمة خليل القبلي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي. جمع وتحقيق ودراسة: فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1981، ج 1، ص: 185.

29ـ يقول اليوسي :"وكانت عطايا الطلبة تنفذ إلى القضاة، يتولون قسمتها عليهم. فعند ذلك جعل الطلبة يتسللون من مجلسي ويذهبون إلى حيث كانت العطايا حتى لم يبق في مجلسي بحمد الله إلا من همته العلم لا الدنيا، وأكثرهم من الغرباء وقليل من أهل البلد". فاطمة خليل قبلي، رسائل اليوسي، مرجع سابق، ج 1، ص: 170.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

30ـ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(ت. 429هـ/ 1038م) :التمثيل والمحاضرة. تحقيق: عبد الفتاح محمد لحلو، الدار العربية للكتاب، طبعة 1985، ص: 164.

31ـ من هذه الطرق مثلا كتابة آيات من القرآن على أكف الصبيان. فقد ﷺقال أحمد بن رزوق: لما دخلت في المكتب كتب لي الفقيه سورة "ألم نشرح" في كفي الأيمن بالعسل فلعقته فكنت من أحفظ الصبيان واهتديت إلى المكتب فما هربت منه قط، ولا أعلم أني لم أحفظ لوحي قط إلا يوما واحدا". الصومعي أحمد بن أبي القاسم بن محمد التادلي (ت. 1013/ 1604): المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى. تحقيق: علي الجاوي، م. ك. آ. ع. إ. بأكادير 1996، ص. 280. أو زيارة الصالحين وخدمة الأشياخ التي "تعين بإذن الله على الحفظ والفهم وكل فلاح وخير [...] كالشيخ أبي يعزى، والشيخ أبي العباس السبتي، والشيخ عبد السلام بن مشيشي، ...". اليوسي، القانون، مصدر سابق، ص: 473. كما ساد الاعتقاد أن بعض الثمار والأعشاب نافعة لضعف الذاكرة والنسيان، بالنسبة للصبيان خاصة، مثل ثمر بلاذر وعرق زنجبيل . الغساني أبو القاسم محمد بن إبراهيم الشهير بالوزير (ت. 1019هـ/ 1611م): حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار. تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985، المادتان 63 و 113، ص. ص: 65 و 107–108. أو تزيد في الحفظ والفهم، مثل الخردل إذا وضع على الرأس المحلوق بالموسي. م. ن، المادة 346، ص. ص: 313–315. "والسواك وشرب، العسل، وأكل الكندر مع السكر، وأكل إحدى وعشرين زبيبة كل يوم على الريق". اليوسي، القانون، مصدر سابق، ص: 473. وكانت للحاج محمد الهادي العراقي (ت. ق8/ 14) بمقبرة مطرح الجنة بفاس "مقبرة فيها ثقب يجعل الناس فيه الماء ليشربه الصبيان للحفظ". سلوة، مصدر سابق، ج 3، ص. 17.

32ـ البلغيتي، الابتهاج،مصدر سابق، ج 2 ص: 61.

33ـ المصدر نفسه، ج 2، ص: 62.

34ـ اليوسي، القول لفصل في الفرق بين الخاصة والفصل، مخطوط المكتبة الوطنية، الورقة 220 ظ 221 و.

35ـ البلغيتي، الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص: 63.وقد أشار إلي ابن خلدون إلى أن تعدد طرائق التعليم والاقتصار على الحفظ يؤثر سلبا على المتعلم. المقدمة، مصدر سابق، ص: 600.

36ـ الوزان الحسن بن محمد (ت. ق. 10/ 16): وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، دار الغرب الإسلامي 1983، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ج 2، ص: 116.

37ـ يوسف بن عابد بن محمد الحسني الفاسي (ت. 1048هـ/ 1683م): رحلة ابن عابد الفاسي "من المغرب إلى حضرموت"، تحقيق وتقديم وتعليق: إبراهيم السامرائي وعبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1993، بيروت، لبنان، ص. ص: 59–61.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

38ـ القادري: نشر المثاني، مصدر سابق، ج 1، ص: 145. وعلى سبيل الذكر كان الشيخ سيدي محمد بن أحمد القسنطيني الكماد (ت.1116هـ/ 1704م) "يقرأ في فصل الشتاء، ويتفرغ في زمن المصيف لمراجعة ما يلقيه في زمن الشتاء". سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 36.

39ـ أنظر وقفيةالمخطوط رقم 313 بخزانة القرويين.، فاس _ المغرب.

40ـ أنظر وقفية المخطوط رقم 202 بخزانة القرويين، فاس_ المغرب.

41ـ أنظر وقفية المخطوط رقم 315 بخزانة القرويين، فاس_ المغرب.

42ـ الكتاني: سلوة، مصدر سابق، ج 1، ص:294.

43ـ ورد في جواب للتمنارتي على سؤال حول تسريح المتعلمين في الأعياد بتارودانت جنوب المغرب ما يلي :"لا بأس أن يأذن لهم في عيد الفطر بيوم إلى ثلاثة، وفي عيد الأضحى إلى خمسة أيام. وأما عاشوراء ومولده صلى الله عليه وسلم، فلم أقف فيهما الآن على شيء. وقد جرت العادة فيما بلغ علمنا من هذه البلاد بالتسريح اليسير الذي لا يبلغ التسريح في العيدين فيهمان والتسريح في مولده صلى الله عليه وسلم أوسع منه في عاشوراء...". التمنارتي أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد (ت. 1060/ 1650): الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة. تحقيق: اليزيد الراضي، تقديم: محمد المنوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2007، ص: 508. أما موليراس فيقول عن الفترة اللاحقةـ رغم ما يحمله كلامه من تحامل ومغالطات ـ :"وفي كل مناطق جبالة، تحدد العطل [العواشر] ثلاث مرات في السنة، وتدوم عشرين يوما، عشرة أيام قبل وأخرى بعد الأعياد الدينية التالية: العيد الصغير، العيد الكبير وعيد المولد [...] ويستغل الطلبة هذه الأعياد للتجول في قبيلتهم أو القبائل الأخرى لجمع التبرعات. وعند رجوعهم [الدخول المدرسي] يقيمون ولائم فاخرة لا يشارك فيها الأميون. ويكتفي الطلبة صغار السن ما بين سبع و14 سنة، بالتسول في قريتهم، لأنه ليس من المسموح لهم مغادرتها. ويكفي البيض والدجاج والسنتيمات المحصل عليها، لتهيئ أطعمة جيدة للعشاء". ص 105. موليراس أوجست Mouliéras, Auguste: المغرب المجهول، ترجمة وتقديم: د. عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز ن أءريف، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2007. الجزء الأول حول اكتشاف الريف، والجزء الثاني حول اكتشاف جبالة، ج 2، ص: 104 ـ 105.

44- دي طوريس دييكو (ق.10/ 16): تاريخ الشرفاء. تعريب: محمد حجي ومحمد الأخضر، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، د.ت. وأيضا: منشورات ج. م. ت. ت. ن.، مطابع سلا، 1988.، ص: 56.

45ـ حسب البلغيتي فإن الطالب يكون في حاجة إلى الأكل في الليل أكثر، لأنه في النهار يكون منشغلا بمجالس العلم. الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص: 20وأشار أيضا أنه ينبغي بعض الجوع لطالب العلم. المصدر نفسه، ج 1، ص: 70.

*ـأسفر الصبح وأسفر أضاء وأشرق.

46ـ فاطمة خليل قبلي: رسائل، مرجع سابق، ج 1، ص: 145ـ 146.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

47ـ ورد عند: البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت.841هـ/ 1438م):فتاوى البرزلي المسماة: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا المفتين والحكام. تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 2002، ج 1، ص:131.

48ـ حول الأوقات الملائمة للمراجعة والتحضير، "قيل: أنظروا في العلم بالليل فالقلب بالنهار طائر وبالليل ساكر أي ساكن. وقيل لبعضهم: لم اخترت الغدوة للدرس؟ فقال: لأن العقل أجم لقرب عهده بالصمت، وبعد جوارحه عن المعاصي". أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج 1، ص:48. وقد ذكر اليوسي أنه حينما كان يدرس بالسوس الأقصى كان يجلس للمطالعة مع الطلبة إلى بعد العشاء الآخرة بساعة، أو أكثر، فيقضون الليل كله في المجلس. المحاضرات في اللغة والأدب. تحقيق محمد حجي، دار المغرب، الرباط 1976، ص: 148 ـ 149.

49ـ ورد في فتاوى البرزلي أن "شركة المعلمين جائزة إن كانوا بمكان واحد، وإن كان بعضهم أجود تعليما من بعض، لأن فيه رفقا بمرض بعضهم فيقوم الصحيح مقامه". مصدر سابق، ج 3، ص: 596. وفي جواب للقابسي:﴿وأما إن مرض أو عليه شغل فليقدم مثله في كفايته بأجر أو غيره، ما لم يطل ذلك". المصدر نفسه، ج 3 ص: 580.

50ـ لازالت هذه الطريقة من الجلوس والإلقاء محافظة على وجودها إلى يومنا هذا. فقد لاحظت من خلال الزيارات الميدانية التي قمت بها إلى جامع القرويين مجموعة من حلقات الدرس داخل الجامع، يجلس فيها الأستاذ على كرسي أو يكون مسندا ظهره إلى الحائط بينما يتخذ الطلبة شكل حلقة دائرية حول أستاذهم بعضهم يقتصر على فراش المسجد فقط والبعض منهم يضع وسادة أو لحافا صغيرا تحته. وتشبه الحلقة حاليا طريقة إدارة الاجتماعات والعمل في شكل جماعات داخل قاعة الدرس، حيث يجلس الجميع بصورة متقابلة تتيح لهم رؤية تعبيرات المتحدثين ويجلس المدرس في موقع إدارة الاجتماع على رأس الطاولة المستديرة.

51ـ على سبيل المثال كان أبو زكريا يحيى السراج (ت.10071598-99م) يدرس التفسير ومختصر الشيخ (خليل) قرب باب المقصورة مسندا ظهره إلى حائط القبلة من ناحية الخزانة، وكان قارئه الفقيه عبد الرحمان بن عثمان المكناسي. أنظر: أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمان بن عيسى الكلالي: تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان لمدعي استحقاق الفتوى: آجليان، مخطوط رقم 571/ ك قسم الوثائق، المكتبة الوطنية، الرباط، ص: 20-21.

52ـ أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت.914هـ/ 1509م): المعيار المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط 1401هـ/ 1981م، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج 2، ص: 476 ـ 477.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

53ـ يقول الونشريسي :"... وأعظم من هذه البدعة بدعة اتخاذ الكراسي وإحداثها في المساجد للإقراء، فهي غاصبة لمواضع المسجد لا سيما وهي لا تنقل ولا تحول من مواضعها دائما". المصدر نفسه، ج 2، ص: 486.

54ـ يقول القادري: "كانت عادة فاس قديما لا ينتصب للتدريس بالقرويين إلا من انتهت إليه المهارة في العلم والدين في وقته، وكان العلماء ينازعون أنفسهم في هذه المرتبة". نشر، مصدر سابق، ج 3، ص: 305. وتنظر أيضا: عبد الهادي التازي: جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، 3 مجلدات. طبعة بيروت، ج 2، ص: 370–371.

55ـ القادري، نشر، مصدر سابق، ج 1، ص: 37.

56ـ أنظر مثلا ما جاء في ترجمتي أحمد بن علي الزموري وأحمد المنجور. المصدر نفسه، ج 1، ص: 37 و ص: 55.

57ـ البلغيتي، الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص: 43.

58ـ يشير الرصاع إلى أنه عند قدومه لأول مرة إلى قاعة الدرس جلس خلف الطلبة الآخرين. مصدر سابق، ص: 182. ويفهم من كلام اليوسي أن مكان الجلوس يؤثر على فهم المتعلم، والمكان الأفضل هو المقابل للمدرس،وقد عبر عن ذلك قائلا :"ومن أغرب ما شاهدته في هذا، أني كنت أيام البداية، أجلس في حلقة شيخنا أبي بكر التطافي رحمه الله ناحية جنبه الأيسر، وهم يقرؤون الخلاصة، فكنت أفهم بعضا من كلامه، وأشياء لا أفهمها، حتى بلغنا نحو النصف، فاتفق لبعض من كان بين يديه أن خرج من البلد، فجلست في موضعه بين يدي الشيخ، فكنت من ذلك اليوم، كل ما يخرج من فيه الشيخ يدخل في قلبي كالشمس المنيرة، ولا يفوتني شيء، وقضيت العجب من ذلك". القانون، مصدر سابق، ص: 386.

59ـ اجتهد كثير من الطلبة أثناء حياتهم الدراسية لأخذ العلم من عدة شيوخ. ويكفي أن نذكر أن الحسن بن علي البوعناني (ت. 1163/1750) أخذ عن أبي العباس الوجاري، وأبي العباس بن امبارك، وأبي العباس الشدادي ... وغيرهم. الكتاني، سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص. 113. وبدوره انتقل أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني (ت. 1032/ 1632) بين عدة شيوخ أهمهم المنجور، "وهو عمدته، وأبي القاسم بن إبراهيم، وابن مجبر المساري وأبي العباس القدومي، وأبي زكريا يحيى السراج ... وأخذ عن جماعة من أعيان فاس كالحافظ أحمد المقري ...". المصدر نفسه، ج 2، ص: 116.

60ـ لما دخل اليوسي إلى فاس في عهد السلطان المولى الرشيد العلوي تزاحم الطلبة على مجلسه وتركوا مجالس المدرسين الآخرين، ولذلك كثر حساده فوضعوا له شيئا في سليخة (جلد) الكرسي فمرض مرتين، فتفطن أصحابه إلى الأمر وقالوا له :"هذا أمر واضح بيّن، هذا عمل (عُمل) لك في مجلس القراءة لئلا تشتغل به، فإنك شتت عن الناس تلاميذتهم، وأخليت مجالسهم ...". رسائل اليوسي، مصدر سابق، ج 1، ص: 169.

61ـ البلغيتي، الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص: 73.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

62ـ على سبيل المثال فقد لازم علي بن موسى بن هارون المطغري (ت. 951/ 1544) ابن غازي أكثر من عشرين سنة. سلوة،مصدرسابق، ج 2، ص: 93. ولازم أحمد بن موسى السوسي (ت. 1046/ 1637) شيخه أبا محمد بن عبد الله الحيحي إلى أن مات، وقال في ذلك : "وقد انتفعت به في داره في هذا الأمر انتفاعا يوجب شكره". المصدر نفسه، ج 2، ص: 96.

63ـ كانت المدارس أكثر تنظيما من الجوامع والمساجد إذ كان لكل منها ناظر أو شيخ أو قيم يراقب كل ما يحصل فيها. وكان الطلبة مجبرين على التفرغ إلى التحصيل وحضور مجالس التدريس، وألا تتجاوز مدة الإقامة عشرة أعوام بالنسبة للذين لا يظهرون نجاعتهم. يقول اليوسي :"إنما يسكن المدرسة، من بلغ عشرين سنة فما فوقها، وأخذ في الدرس جهده، وفي حضور حزبها صباحا ومغربا، وحضور مجلس مقرئها، إلا لعذر مبيح من مرض أو نحوه، ثم إذا سكن عشرة أعوام، ولم تظهر منه نجابة، أخرج منها جبرا". القانون، مصدر سابق، ص: 446. وكانت مدة الإقامة سابقا هي سبع سنوات فقط تتكلف خلالها الدولة بنفقاتهم من مأكل وملبس، كما تتولى صرف أجور الأساتذة المدرسين. الوزان، مصدر سابق، ج 1، ص: 186-187. وأحسن المدارس هي القريبة من السكن لأن البعيدة فيها مشقة للمتعلم وهدر لوقته. البلغيتي، مصدر سابق، ج 2، ص: 02.

64ـ حسب التمنارتي، فإن زاوية ويسعدن بسكتانة كانت تأوي "سبعمائة طالب مرتين للقراءة، قال والدي: وعهد إلي في توفير طعامهم ومراقبته حرصا عليهم وعناية بهم، وكان يفرق فيهم وفي غيرهم أنواعا من الثياب وأموالا جزيلة...". الفوائد، مصدر سابق، ص:41. واحتوت المؤسسة التي بجوار جامع الخطبة بالزاوية الدلائية على "ألف وأربعمائة مسكن". القادري عبد الخياط، تقاييد تاريخية، مخ. م. و. بالرباط، رقم 248، ص: 11. ويستخلص من كتب النوازل أن العدد الملائم للمعلم هو ثلاثون متعلما. فقد كان "أبو العباس السقطي لا يزيد على ثلاثين صبيا شيئا، لأنه يرى أنه لا يقوى على أكثر من ذلك".البرزلي، مصدر سابق، ج 3، ص: 581. وهذا يعني أنه كان هناك إلمام بمشكل الاكتظاظ الذي يساهم في عرقلة العملية التعليمية التعلمية.

65ـ أنظر مثلا ما جاء في المعيار حول من سكن المدرسة وهو يشتغل بصنعة ولا يقرأ. الونشريسي، مصدر سابق، ج 7، ص:7.

66ـ تواجد بالمدارس المغربية، مثل مدرسة الصفارين بفاس، بعض العلماء المشارقة، وبعض الطلبة الجزائريين، حتى أن أحد هؤلاء، ونتيجة لما ناله من عطاء، امتدح المولى الرشيد العلوي قائلا:

فاض بحر الفرات في كل قطـر *** من ندى راحتيك عذبا فراتـــا

غرق الناس فيه والتمس الفقـ *** ر خلاصا فلم يجده فماتـا. المشرفي الحاج محمد بن المصطفى الفاسي(ت. 1334هـ/ 1916م): الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية. دراسة وتحقيق: إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى 2005، ج 1، ص: 276. وجاء الحسن بن يوسف (ت. 1023/ 1615) من

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

ضواحي تلمسان إلى بيجساس، قرب تطوان، ومنها إلى فاس، لطلب العلم. القادري، نشر، مصدر سابق، ج 1، ص:198-199.

67ـ قضى عبد القادر بن العربي البوخريصي (ت. 1118هـ/ 1706) أربعة وثلاثين سنة في التدريس. سلوة، مصدر سابق، ج 2،ص: 341.

68ـ كان عيسى بن محمد السراج الأصغر(ت. 1007هـ/ 1598ـ99م) فقيها وخطيبا ومفتيا بجامع القرويين ومدرسا بمدرسة العطارين وبمدرسة الحلفاويين. القادري، نشر، مصدر سابق، ج 1، ص: 70 ـ 71. وتولى محمد المرابط بن محمد بن جلال (ت. 1008/ 1600) ﴿الخطابة والإمامة بالقرويين﴾. سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 32.مما يعني أن الأساتذة إلى جانب قيامهم بمهمة التدريس غالبا ما تسند إليهم مهام أخرى إلى جانب الاشتغال بمهن أخرى.

69ـ حسب الوزان كان العديد من علماء القرويين يتقاضون مرتبات حسنة. مصدر سابق، ج 1، ص: 186.

70ـ سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص. 65-66.

71ـ البلغيتي، الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص: 70.

*ـقال بعض أهل الأندلس : ما كل من كانت على رأسـه *** عمامة يحظى بست الوقـــار

ما قيمة المرْء بأثوابـــــه *** السر في السكان لا في الديار. المقري: وصف نعال النبي صلى الله عليه وسلم المسمى بفتح المتعال في مدح النعال. تحقيق د. علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج درويش، دار القاضي عياض للتراث، الطبعة الأولى 1997، ص: 173.

72ـ البلغيتي، مصدر سابق، ج 2، ص:63.

73ـ كان المدرس أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحميدي (ت. 1003/ 1576) محبا لطلبته، عطوفا عليهم، يحترمهم ويساعدهم ماديا ومعنويا. الكلالي،تنبيه الصغير، م. س، ص:19-20. كما كان الحسن بن محمد الهداجي الدراوي (ت.1006هـ/ 1597ـ98م) رفيقا بالطلبة حريصا على تفهمهم ميسرا عليهم. القادري، نشر، مصدر سابق، ج 1، ص: 63.

74ـ سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 93.

75ـ تنبيه الصغير ، مصدر سابق، ص: 21.

76ـ القادري، نشر، مصدر سابق، ج 3، ص: 26.

77ـ مثلما حصل مع بردلة سنة (1094هـ/ 1683م) والبوعناني سنة (1084هـ/ 1673م)، والمجاصي سنة (1089هـ/ 1678م. القادري، نشر، ج 2، مصدر سابق، ص. ص:182و 210 و 251 و 312. كما أن السلطان سيدي محمد ين عبد الله كان قد توعد الأساتذة والطلبة المخالفين لنظامه التربوي. مواهب المنان، مصدر سابق، ص. ص: 11-19.

78ـ سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 36.

79ـ محمد العربي الفاسي، مرآة، مصدر سابق، ص: 163.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

80ـ مواهب المنان، مصدر سابق، ص. ص: 11-12.

81ـ عبد الرحمان بن زيدان العلوي (ت. 1365/ 1946): إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس. المطبعة الوطنية، الرباط، 1929 ـ 1933، ج 3، ص: 213.

82ـ عبد المجيد الصغير: إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18 و 19م، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، 1988، ج 1، ص:102-103.

83ـ سنعود لطريقة الاحتفال لا حقا.

84ـ تعني الإجازة أن يقول المحدث لغيره أجزت لك أن تروي عني كتابي هذا الذي حدثني به فلان، ويبين سنده، دون سماع ولا عرض. فهي شهادة يعترف فيها الشيخ بأهلية وكفاءة المجاز في التدريس والتعليم والفتوى. البلغيتي، الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص: 62. وتنقسم الإجازة إلى خاصة تتعلق بعلم أو جملة علوم معينة، وإجازة عامة تشمل جميع معاف المجيز. أنظر مثلا إجازة أحمد بابا السوداني للتمنارتي. الفوائد، مصدر سابق، ط 2007، ص: 133. ويمكن أن تكون إجازة عامة وخاصة في الوقت نفسه. أنظر الرصاع ، مصدر سابق، ص: 60.

85ـ البلغيتي، الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص: 63.

86ـ مثل إجازة عبد الله بن علي بن طاهر الحسني لأحمد بن علي البوسعيدي. نشر، مصدر سابق، ج 1 ص 327ـ328 ، وإجازة محمد القصار لمحمد بن أبي بكر الدلائي. م. ن، ج 1ص: 355. وإجازة السوداني للتمنارتي والتي جاء فيها :﴿ ... الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد، فقد أجزت لك أن تروي عني جميع ما يجوز لي متلفظا بها بشرطه المعتبر عند أهلها، وكتبه محمد ابن أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن محمد أقيت بإذن والده رضي الله عنه، انتهى﴾. الفوائد، مصدر سابق، ط 2007، ص: 133.

87ـ وهي في الغالب إجازة جماعية يجيز فيها الشيخ جميع من حضر من الطلبة مثل إجازة ابن غازي لولديه أحمد ومحمد ، وعبد الواحد الونشريسي، وعلي بن هرون المطغري، ومحمد بن عبد الواحد الغزال، وأبو القاسم وأحمد الدكاليين. أبن زيدان، إتحاف، م. س، ج 4، ص:11.

88ـ ذكر الكتاني أن ابن غازي أجاز موسى بن هارون المطغري إجازة عامة بعد أن جالسه أكثر من عشرين سنة. سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 93.

89ـ التمنارتي، الفوائد، مصدر سابق، ط. 2007، ص: 378. .

90ـ المصدر نفسه، ص: 406.

91ـ سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 81.

92ـ التمنارتي، مصدر سابق، ط 2007، ص:417 و 422.

93ـ المصدر نفسه، ص: 416.

94ـ سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 81.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

95ـ المقري: روضة الآس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط 1964، وطبعة 1983 من تحقيق. عبد الوهاب بن منصور، ص. ص. 305-312، وأيضا سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 96-97.

96ـ سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 101-102.

97ـ المقري، روضة، مصدر سابق، ص: 239.

98ـ المقري: فتح المتعال في مدح النعال، طبعة حجرية، د.ت، ص. 238-239. وأيضا طبعة 1417/ 1997 من تحقيق: د. علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج درويش، نشر وتوزيع دار القاضي عياض للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ص: 364-365.

99ـ المقري: روضة، مصدر سابق، ص:316-317.

100ـ (ابن) القاضي أحمد بن محمد (ت. 1029/ 1616): درة الحجال في أسماء الرجال . (درة)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، 3 أجزاء، دار التراث، القاهرة 1970.، ج 1، ص: 93.

101ـ من بين من طلب هذه الإجازة العبدري الحيحي الذي طلبها لأبنائه. راجع الرحلة، مصدر سابق، ص. 139.

102ـ القادري، نشر، مصدر سابق، ج 1، ص: 355.

103ـ المصدر نفسه، ج 1، ص: 328.

104ـ المرادي أبو بكر محمد (ت.489/ 1096): كتاب السياسة أو (الإشارة في تدبير الإمارة). تحقيق : الدكتور سامي النشار، الدار البيضاء، 1401/ 1981، ص:71.

*ـالوجه الثاني لم يرد في هذا النص المطبوع.

105ـ ابن سحنون التنوخي م (ت.256/ 870): آداب المتعلمين. تحقيق: د. عبد الأمير شمس الدين، بيروت، 1990، ص:80.

106ـ أورده البلغيتي، الابتهاج، مصدر سابق، ج 1، ص: 106.

107ـ يقول ابن خلدون :"ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، [...]، وعلمه المكر والخديعة لذلك، [...] فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبدا عليهما في التأدب". المقدمة، مصدر سابق، ص: 613.

108ـ عبد الوهاب الشعراوي: درر الغواص على فتاوى سيدي علي الغواص، المكتبة الأزهرية للتراث، دار الكتب المصرية 1998. ورد عند البلغيتي، مصدر سابق، ج 1، ص: 107.

109ـ قال القابسي :"عليه [المعلم] أن يزجر المتخاذل في ضبطه أو صفة كتبه بالوعيد والتقريع لا بالشتم، كقول بعض المعلمين للصبي: يا قرد". البرزلي، مصدر سابق، ج 3 ص: 574. أنظر أيضا : الوزاني محمد المهدي(ت.1324/ 1923)، النوازل الجديدة الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

والقرى (المسماة بالمعيار الجديد والجامع المعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب)، طبعة حجرية، ج 4، ص:144.

110ـ البرزلي، مصدر سابق، ج 3، ص: 576.

111ـ الشعراوي: درر الغواص، م سابق، ص: 56.

112ـ ورد في جواب للشيخ أبي عبد الله الرماح : "إن الصواب اعتبار حال الصبيان. شاهدت غير واحد من معلمينا الصلحاء يضرب الصبي نحو العشرين وأزيد. وكان معلمنا يضرب من عظم جرمه بالعصا في سطح رجله من أسفل[يسمى هذا في الدّارجة المغربية ب "الْفَلَقَه" أو التّحْمَالْ]العشرين وأكثر. وأخبرنا في مجلسه أنه كان معه ولد يقرأ في كتاب بطحاء ابن عمر، فكان المؤدب يضربه كثيرا لا تسيل له دمعة وأجرم مرة وتخفى في كوة تحت دكان المؤدب. فلما قدم المؤدب وجلس تناول عقبه بحزمة وعزم أن لا يرسله حتى يعطيه لوحه ويصرفه ولا يضربه، ففعل ذلك وصرفه. فقدر أنه لما كبر فعل من السرقة ما أدى إلى ضرب عنقه، ونعوذ بالله من الخذلان". البرزلي، مصدر سابق، ج 3، ص: 575.

113ـ وورد أن ضرب المعلم الصبي كالسماد للزرع. محاضرات الأدباء، مصدر سابق، ص: 163.

114ـ المهدي الوزاني، مصدر سابق، ج 4، ص.144.

115ـ عبد الله بن الحاج إبراهيم (ت.1233هـ/ 118م): فتاوى ابن الحاج، جمع وتحقيق: محمد الأمين بن محمد بيب، الطبعة الأولى 2002م، ص:393.

116ـ الونشريسي، مصدر سابق، ج 2، ص: 269.

117ـ البرزلي، مصدر سابق، ج 3، ص: 574.

118ـ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

119ـ التمكروتي ابن ناصر محمد الدرعي (ت. 1085/ 1674)، الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية. مخ. خ. ع. م . ص.11.

120ـ البرزلي، مصدر سابق، ج 3، ص: 575.

121ـ الونشريس، المعيار، مصدر سابق، ج 2، ص: 269.

122ـ البرزلي، مصدر سابق، ج 3، ص: 576.

123ـ الكتاني، سلوة، مصدر سابق، ج 3، ص.284-285.

124ـ اليفرني محمد الصغير (ت. 1155/ 1742): صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ط. ح. فاس، د.ت.ص:134.

125ـ جاء في منظومة العربي لمساري حول آداب المدارس:

واعن الجـار إذا استعـــــان *** وأوله المعروف والإحسانا. يقصد الجار الذي يسكن معه في المدرسة.

وكن أخا حلم وصدر رحب *** ولا تكن فظا غليظ القــلــب. البلغيتي، الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص: 5 ـ 6.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

126- اليفرني: صفوة، مصدر سابق ،ص: 71.

127ـ المصدر نفسه، ص: 577.

128ـ يرى اليوسي أن المال ضروري للمتعلم والمدرس لأنه :﴿إن لم يكن المال تعطلت مراسم العلم غالبا، إلا أن يكون أيضا كراه. ولا تنهض معه همة المعلم، ولا يكون لصدره انشراح، ولا لقلبه إقبال، فلا يحصل للمتعلم انتفاع، بل يكون ضربا في حديد بارد﴾. رسائل اليوسي، مرجع سابق، ج 1، ص: 140.

129ـ الونشريسي، المعيار ، مصدر سابق، ج 9، ص:85.

130ـ المصدر نفسه، ج 8، صص:236-239-246.

131ـ التمنارتي، الفوائد، مصدر سابق، ص: 503.

132ـ الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج 9، ص.156.

133ـ ابن) الزيات يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي (ت. 627/ 1229)، التشوف إلى رجال التصوف. تحقيق أحمد التوفيق، الرباط 1984، ص.455.

134ـ المصدر نفسه، ص. 272.

135ـ المعيار، مصدر سابق، ج 9، ص.334. تحتفظ حوالة المدارس بفاس بأسماء الموقوفات الكثيرة الخاصة بالمؤسسات التعليمية. للمزيد من الاطلاع يراجع: حوالة المدارس بفاس، وحوالة أحباس فاس العليا رقم 49. نظارة أوقاف فاس، فاس، المغرب.

136ـ مثل إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي الذي ألف الصيد في الصحاري. ابن عسكر محمد الشفشاوني (ت.986هـ/ 1587م): دوحة الناشر لمن كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. تحقيق: محمد حجي، الرباط 1877، ص: 132، ومحمد بن علي الشطيبي الذي قسم أيامه بين التدريس والتأليف والاشتغال بالفلاحة. المصدر نفسه، ص: 14ـ15 . والفقيه عبد الواح لحميدي الذي كان يبيع الثياب الخلقة (البالية). القادري، نشر، مصدر سابق، ج 1، ص: 44.

137ـ رسائل اليوسي، مرجع سابق، ج 1، ص: 140. وجاء في نوازل البرزلي أنه يجب أن يكون هناك تفاضل في أجرة المعلمين حسب مستوياتهم العلمية. مصدر سابق، ج 3، ص: 596.

138ـ البرزلي، فتاوى، مصدر سابق، ج 3، ص: 594.

139ـ إتحاف أعلام الناس، مصدر سابق، ج 2، ص:81.

140ـ رقية بلمقدم، أوقاف مكناس في عهد المولى إسماعيل 1082-1139/ 1672-1727، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، طبعة 1993، ج 2، ص. 432.

141- المقدمة، مصدر سابق، ط 2004، ص: 301-302.

142ـ يكون التحفيز ماديا بتقديم هدايا ومبالغ مالية، ومعنويا بإقامة حفلات. يقول اليوسي :"والعطايا تطلق اللسان، وتشرح الجنان، وتشجع الجبان، وتنشط الكسلان، وتسر الغضبان سجية مطبوعة في الإنسان على مر الزمان". رسائل اليوسي، مرجع سابق، ج 1، ص: 141.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

143ـ يقول اليوسي :"ومما يذكي القريحة فيه [في العلم والتعلم]، منافسة أهل التحصيل، وهي محمودة، فلا خير فيمن لا ينافس على الخير، وقيام حظ للنفس من جائزة تستجلب أو فائدة ما تطلب، وفهم أوائله بسهولة، كما أن انغلاقهما مما يخمد الفكرة، ويفتر القريحة، ...". القانون، مصدر سابق، ص: 473 ـ 474.

144- الوزان، مصدر سابق، ج 1، ص: 200.

145- محمد المهدي الحجوي، حياة الوزان الفاسي وآثاره، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1354/ 1935، ص: 88.

146- أبو الحسن علي بن عيسى العلمي(ت.1127هـ/ 1715م): كتاب النوازل، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 1409/ 1989، ج 3، ص: 198ـ 199.

147- الفشتالي عبد العزيز (ت.1031هـ/ 1621م): مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا. تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط 1973، ص: 155.

148- (ابن) القاضي: المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور. تحقيق: محمد رزوق، جزآن، مكتبة المعارف، الرباط 1986، ص: 33.

149ـ المصدر نفسه، ص: 59.

150ـ قبيلة كبرى جنوب المغرب شرق مراكش كانت تشتمل في عهد المنصور على أربع عشرة عشيرة وقرى عديدة أشهرها قرية آيت ورير التي هي مركز القيادة. أنظر ابن زيدان: العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية بالرباط، 1382/ 1962، ج 1، ص:153. هامش رقم 3.

151ـ اليفرني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مكتبة الطالب، د.ت، ص:113.

152ـ القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار الحادية والثانية عشر(التقاط)، جزآن، تحقيق: هاشم العلوي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983، ص: 87.

153ـ عبد الجواد السقاط: الشعر الدلائي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1985، ص: 73.

154ـ عبد الجواد السقاط: ديوان علي مصباح الزرويلي. تحقيق ودراسة محمد الحسني، مجلة دعوة الحق عدد 285، ص: 45.

155ـ ابن زيدان: المنزع اللطيف في مفاخر مولانا إسماعيل ابن الشريف. تحقيق عبد الهادي التازي، بتصرف، مطبعة إديال، الدار البيضاء 1983، ص: 72.

156ـ (ابن) الحاج بن حمدون السلمي (ت. 1273هـ/ 1856ـ57م): الدر المنتخب المستحسن في بعض مأثر أمير المؤمنين مولانا الحسن، مخطوط المكتبة الوطنية رقم 1920، ج 7، ص: 311.

157ـ تستند برامج التربية الإسلامية في توجهاتها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة فمنها تستمد أساسها وعليها تبني هويتها وترسم أهدافها الثابتة التي لا تتغير مع تغير الزمان والمكان، وهذا الاستناد لا يتعارض مع جوهر الحقيقة العلمية. فقد أكد بعض الباحثين والفلاسفة أمثال "روجرز" و"سفرين" و"روجر سيري" على دور القيم بكونها جزءا مشروعا من العلم، ولا يمكن تصور العلم

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

متحررا من القيم. للمزيد من الاطلاع تنظر: روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسون :العلم في منظوره الجديد. ترجمة: د. كمال حلايلي، عالم المعرفة 134، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1989، ص. ص: 88 ـ 89.

158ـ المحاضرات، مصدر سابق، ص: 166.

159ـ ذكر صاحب دوحة الناشر أن العالم الشهير أبا عبد الله الورياجلي كان متصدرا للفتوى، فجاء ذات يوم لمجلس التدريس، فلم يجد أحدا من الطلبة، إلا اثنين أو ثلاثة، فسال عن وجه تخلفهم؟، فقالوا له :"ذهبوا مع جميع الناس إلى رجل (اسمه برزيز)، قدم إلى البلد، يدعي أنه عيسى بن مريم"، فقال (لهم) :"اذهبوا (بي) إليه"، فلما وصلوا إليه، وجدوه قد اجتمع عليه خلق كثير بين خادم وزائر، قال الشيخ :"أنت تدعي أنك عيسى بن مريم؟" فقال :"نعم" فقال له :"ومن يشهد لك؟" فقال :"تلك الصومعة، تشهد لي" فقال :"وكيف ذلك؟" فقال "تشير لها، فتولول، وتتمايل" فأشار لها، فولولت وتمايلت، وجميع الناس ينظرون، ويعدون ذلك من أعظم البراهين على صدقه!. فتقدم الشيخ إليه، وسأله: عن التوحيد ومعتقده؟، فلم يجد عنده شيئا، فسأله: عن بعض الفرائض والسنن؟، فلم يجب بشيء. فوثب الشيخ عليه، ولم يجد من يعينه، إلا الطالبان اللذان أتيا معه، وغيرهم كلهم أمسكوا عنه خوفا من خسف الأرض، أو نزول العذاب بهم فأوثقوه، وأمر الشيخ بضربه ضربا وجيعا، وأمر به إلى السجن...". مصدر سابق، ص. ص: 30 ـ 33.

160ـ كان محمد ابن الفقيه الزّجْني (ت.1136هـ/ 1724م) يأتي إلى شيخه عبد الله الوزاني "من قرية أزجن [قرية تقع شمال وزان وتبعد عنه بحوالي 9كلم] إلى وزان فيصلي معه صلاة الفجر ويلازمه يومه ذلك ... إلى أن يصلي معه العشاء الأخيرة ويروح إلى منزله فكانت أمه تخاف عليه لذهابه ورواحه ليلا ...". سلوة، مصدر سابق، ج 1، ص: 294.

161ـ كانت الأسر المعوزة مضطرة إلى دفع أبنائها لتعلم الحرف عوض تحصيل العلم، مثل حالة علي بوغالب الصالريوي الذي توفي والده وتركه "تحت حضانة أمه ... فعلمته صناعة الحجامة وعلاج الجراح والقروح ففتح الله عليه وتعلم تلك الصنعة ..." سلوة، مصدر سابق، ج 2، ص: 19.

162ـ على سبيل المثال، بعد انتقال السلطة إلى السعديين واستقرار الأوضاع، انشغل أحمد المنصور الذهبي بالميدان الثقافي حيث تعددت المراكز الثقافية في الحواضر والبوادي، واسترجعت العديد من المدن كمراكش وفاس نشاطها القديم بما أنشئ فيها من المدارس كمدرسة ابن يوسف، والمساجد كمسجد المواسين ،ومسجد باب دكالة، ومسجد أبي العباس السبتي، ثم تجديد جامع القرويين وإنشاء المكتبة العظيمة بجواره، والاهتمام بالمكتبات وبالمرافق الطلابية، وتشجيع العلماء بتنظيم مسابقات، وتقديم هبات لهم. أدى هذا كله إلى تكاثر عدد العلماء والطلبة وإلى تطور المستوى الثقافي والتعليمي. الفشتالي، مناهل، مصدر سابق، ص: 340. إلا أن هذه النهضة الفكرية سرعان ما تراجعت بعد وفاة المنصور نتيجة اختفاء الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ودخول البلاد في انقسامات بين طبقة الفقهاء والعلماء الذين كانوا يمثلون بصمودهم وتماسكهم وإجماعهم وحدة النظام السائد وكذا البلاد.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

فالعلماء كانوا يتمتعون "بالجاه والثراء والمركز الاجتماعي الممتاز... وكان الحكام يخشونهم، لما لهم من نفوذ في قلوب الشعب، فإليهم يرجع في أوقات الملمات ويصغى لنصحهم ويسترشد برأيهم. حتى إن كثيرا من الحركات الشعبية انتهت بإعدام أحدهم وهو محمد الأغصاوي(ت 1017هـ/ 1608م) بسبب إصداره فتوى وتوجيهه رسالة إلى المأمون يؤنبه فيها على تسليمه المدينة للإسبان القادري، التقاط، مصدر سابق، ص: 11. "ثم جاء المولى الرشيد بن الشريف [العلوي] فأعلى مناره، وأوضح نهاره، وأكرم العلماء إكراما لم يعهد، وأعطاهم ما لا يعد، ولا سيما بمدينة فاس، فضح من قبله، وأتعب من بعده، لو طالت مدته لجاءته علماء كل بلدة ". فاطمة خليل فبلي، الرسالة الكبرى، مرجع سابق، ج 1، ص: 147.

163ـ اليوسي، القول لفصل في الفرق بين الخاصة والفصل، مخطوط المكتبة الوطنية، الورقة 220 ظ 221 و.

(164)ـ يقول البلغيتي :"لقد درست طرق العلم في هذا الزمان وانعكست الحقائق وعدل بالمناصب الشرعية عمن يستحقها إلى من لا يستحقها [...] وهذا وحوله يبين لك حال طلبة هذا الزمان في البوادي والقرى". الابتهاج، مصدر سابق، ج 2، ص: 62.

المصادر:

ـ الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمد (ت. 502هـ/ 1109م): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج 1.

ـالبرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت.841هـ/ 1438م): فتاوى البرزلي المسماة: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا المفتين والحكام. تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 2002، ج 1. وج3.

ـ البلغيتي أحمد بن المأمون (ت. 1348هـ/ 1929م): الابتهاج بنور السراج:شرح على منظومة (سراج طلاب العلوم) للعلامة العربي المساري المغربي، طبعة حجرية، د.ت. ج 1 و ج 2.

ـ التمكروتي ابن ناصر محمد الدرعي (ت. 1085/ 1674): الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية. مخ. خ. ع. م .

ـ التمنارتي أبو زيد عبد الرحمان بن أحمد (ت. 1060/ 1650): الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة. تحقيق: اليزيد الراضي، تقديم: محمد المنوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2007.

ـالثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت. 429هـ/ 1038م):التمثيل والمحاضرة. تحقيق: عبد الفتاح محمد لحلو، الدار العربية للكتاب، طبعة 1985.

ـ (ابن) الحاج بن حمدون السلمي (ت. 1273هـ/ 1856ـ57م): الدر المنتخب المستحسن في بعض مأثر أمير المؤمنين مولانا الحسن، مخطوط المكتبة الوطنية رقم 1920، ج 7.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

ـ(ابن) الحاج عبد الله إبراهيم (ت.1233هـ/ 118م): فتاوى ابن الحاج، جمع وتحقيق: محمد الأمين بن محمد بيب، الطبعة الأولى 2002م.

ـ الحجوجي محمد بن الحسن (ت. 1376/ 1956): مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقوى. تحقيق الدكتور محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1424هـ/ 2003م.

ـ الحجوي محمد المهدي، حياة الوزان الفاسي وآثاره، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1354/ 1935.

ـالحوات سليمان بن محمد أبو الربيع الشفشاوني (ت.1231/ 1816م): البذور الضاوية في مناقب أهل الزاوية الدلائية، مخ. م. و. بالرباط، المغرب، (ضمن مجموع)، عدد د 261.

ـ حوالة أحباس فاس العليا رقم 49. نظارة أوقاف فاس، فاس، المغرب.

ـ حوالة المدارس بفاس، نظارة أوقاف فاس، فاس، المغرب.

ـ (ابن) خلدون عبد الرحمان (ت. 808/ 1406): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة جديدة منقحة، بيروت، لبنان 1424/ 2004.

ـ الرصاع أبو عبد الله محمد بن القاسم(ت. 897هـ/ 1492م): فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي، الطبعة 1، تونس 1967.

ـ دي طوريس دييكو (ق.10/ 16): تاريخ الشرفاء. تعريب: محمد حجي ومحمد الأخضر، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، د.ت. وأيضا: منشورات ج. م. ت. ت. ن.، مطابع سلا، 1988.

ـ (ابن) زيدان عبد الرحمان العلوي (ت. 1365/ 1946):

- ـ إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس. المطبعة الوطنية، الرباط، 1929 ـ 1933، ج 3.
- ـ العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية بالرباط، 1382/ 1962، ج 1.
- ـ المنزع اللطيف في مفاخر مولانا إسماعيل ابن الشريف. تحقيق عبد الهادي التازي، بتصرف، مطبعة إديال، الدار البيضاء 1983.

ـ(ابن) الزيات يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي (ت. 627/ 1229)، التشوف إلى رجال التصوف. تحقيق أحمد التوفيق، الرباط 1984.

ـ الصومعي أحمد بن أبي القاسم بن محمد التادلي (ت. 1013/ 1604): المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى. تحقيق: علي الجاوي، م. ك. آ. ع. إ. بأكادير 1996.

ـ(ابن) سحنون التنوخي (ت.256/ 870): آداب المتعلمين. تحقيق د. عبد الأمير شمس الدين، بيروت، 1990.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

ـ السلطان محمد بن عبد الله العلوي (ت. 1204هـ/ 1790م): مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان. قابله وصححه على النسخة الأصلية: الأستاذ أحمد العلوي عبد اللوي، المغرب 1414هـ/ 1996م.

ـ عبد الوهاب الشعراوي: درر الغواص على فتاوى سيدي علي الغواص، المكتبة الأزهرية للتراث، دار الكتب المصرية 1998.

ـ العبدري أبو عبد الله محمد أحمد بن سعود (ت. 720هـ/ 1320م): رحلة العبدري. تحقيق علي إبراهيم كردي، نشر دار سعد ط 2.

ـ (ابن) عسكر محمد الشفشاوني (ت.986هـ/ 1587م): دوحة الناشر لمن كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. تحقيق: محمد حجي، الرباط 1977.

ـ العلمي أبو الحسن علي بن عيسى (ت.1127هـ/ 1715م): كتاب النوازل. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 1409/ 1989، ج 3، ص: 198ـ 199.

ـ الغساني أبو القاسم محمد بن إبراهيم الشهير بالوزير (ت. 1019هـ/ 1611م): حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار (حديقة). تحقيق: محمد العربي الخطابي. دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985.

ـ الفاسي محمد العربي (ت. 1052/ 1642): مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، ط. ح، فاس 1324/ 1906.

ـالفاسي يوسف بن عابد بن محمد الحسني (ت. 1048هـ/ 1683م): رحلة ابن عابد الفاسي ﴿من المغرب إلى حضرموت﴾. تحقيق وتقديم وتعليق: إبراهيم السامرائي وعبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1993، بيروت، لبنان.

ـ الفشتالي عبد العزيز (ت.1031هـ/ 1621م): مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا. تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط 1973.

ـ القادري محمد بن الطيب (ت. 1187هـ/ 1773م):

- ـ التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار الحادية والثانية عشر(التقاط)، جزآن. تحقيق: هاشم العلوي، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983.
- ـ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني.تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، ج1 مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التراجم 3، الرباط 1977، وج3 منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، الرباط 1986.

ـ القادري عبد الخياط: تقاييد تاريخية، مخ. م. و. بالرباط، رقم 248.

(ابن) القاضي أحمد بن محمد (ت. 1029/ 1616):

- ـ درة الحجال في أسماء الرجال . تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، 3 أجزاء، دار التراث، القاهرة 1970.، ج 1.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

- ـ المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور. تحقيق: محمد رزوق، جزآن، مكتبة المعارف، الرباط 1986.

ـ الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (ت. 1345/ 1927): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء بفاس. تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، مؤسسة النشر والتوزيع، الدار البيضاء 1424/ 2004 ،ج 2.

ـالكيلالي أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمان بن عيسى: تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب مع الهاربة من الهذيان لمدعي استحقاق الفتوى: آجليان، مخطوط رقم 571/ك قسم الوثائق، المكتبة الوطنية، الرباط.

ـ المرادي أبو بكر محمد (ت.489/ 1096): كتاب السياسة أو (الإشارة في تدبير الإمارة). تحقيق: الدكتور سامي النشار، الدار البيضاء، 1401/ 1981.

ـ المشرفي الحاج محمد بن المصطفى الفاسي(ت. 1334هـ/ 1916م): الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية. دراسة وتحقيق: إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الطبعة الأولى 2005، ج 1.

ـ المقري بن أحمد التلمساني (ت. 1041/ 1631-32):

- ـ أزهار الرياض في أخبار عياض. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، منشورات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية (بيت المغرب) القاهرة، مصر 1942، ج 3.
- ـ روضة الآس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط 1964، وطبعة 1983، من تحقيق: عبد الوهاب بن منصور.
- ـ فتح المتعال في مدح النعال، طبعة حجرية، د.ت، ص. 238-239. وأيضا طبعة 1417/ 1997 من تحقيق: د. علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج درويش، نشر وتوزيع دار القاضي عياض للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى.
- ـ وصف نعال النبي صلى الله عليه وسلم المسمى بفتح المتعال في مدح النعال. تحقيق د. علي عبد الوهاب وعبد المنعم فرج درويش، دار القاضي عياض للتراث، الطبعة الأولى 1997.

ـ ميارة محمد بن أحمد الفاسي (ت. 1072/ 1662): نظم اللآلئ والدرر في اختصار مقدمة ابن حجر، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 3702ز.

ـ موليراس أوجست Mouliéras, Auguste: المغرب المجهول. ترجمة وتقديم: د. عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز ن أعريف، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2007. الجزء الأول حول اكتشاف الريف، والجزء الثاني حول اكتشاف جبالة، ج 2.

ـ وقفيةالمخطوط رقم 313 بخزانة القرويين.، فاس _ المغرب.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

ـ وقفية المخطوط رقم 202 بخزانة القرويين، فاس_ المغرب.
ـ وقفية المخطوط رقم 315 بخزانة القرويين، فاس_ المغرب.
ـ الوزان الحسن بن محمد (ت. ق. 10/ 16)، وصف إفريقيا. ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، دار الغرب الإسلامي 1983، وصف إفريقيا، م. س، ج 1 و ج 2.
ـ الوزاني محمد المهدي(ت.1324/ 1923): النوازل الجديدةالكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى (المسماة بالمعيار الجديد والجامع المعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب)، طبعة حجرية، ج 4.
ـ أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت.914هـ/ 1509م): المعيار المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط 1401هـ/ 1981م، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج 2 و ج7. و ج 9.
ـ اليفرني محمد الصغير (ت. 1155/ 1742):

- ـ صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر (صفوة)، ط. ح.
- ـ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مكتبة الطالب، د.ت.

ـاليوسي الحسن بن مسعود (ت. 1102هـ/ 1692م):

- ـ فهرسة اليوسي. تحقيق: زكريا الختيري، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة محمد الخامس الرباط، 2004. طبع الكتاب في دار الكتب العلمية، بيروت 2009.
- ـ القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم. تحقيق: حميد حمياني، مطبعة شالة، الرباط، الطبعة الأولى 1998.
- ـ القول لفصل في الفرق بين الخاصة والفصل، مخطوط المكتبة الوطنية، الورقة 220 ظ 221 و.
- ـ المحاضرات في اللغة والأدب. تحقيق: محمد حجي، دار المغرب، الرباط 1976.

المراجع:

ـ بلمقدم رقية، أوقاف مكناس في عهد المولى إسماعيل 1082-1139/ 1672-1727، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، طبعة 1993، ج 2.
ـ التازي عبد الهادي: جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، 3 مجلدات. طبعة بيروت، ج 2.
ـ حجي محمد: الحركة الفكرية في عهد السعديين، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب 1977، ج1.
ـ السقاط عبد الجواد: الشعر الدلائي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1985.
ـ شحاتة حسن: تعليم اللغة العربية، بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 4.
ـ الصغير عبد المجيد: إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18و19، دار الآفاق الجديدة، الدار البيضاء، 1988،ج 1.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com

ـالقبلي فاطمة خليل: رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي. جمع وتحقيق ودراسة: فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1981، ج 1.

المقالات:

ـروبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسون:العلم في منظوره الجديد. ترجمة: د. كمال حلايلي، عالم المعرفة 134، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1989.

ـ السقاط عبد الجواد: ديوان علي مصباح الزرويلي. تحقيق ودراسة محمد الحسني، مجلة دعوة الحق عدد 285.

المؤلف المرسل: د/ الحسين ريوش
bellahssane@gmail.com